سعيد عقل
شعرُه والنثر

المجلد الثاني

رندلى
غدُ النُّخبة
أجملُ منكِ؟ لا

نوبليس

سعيد عقل

شعرُه والنثر

المجلّد الثاني

رندلى

غدُ النُخبة

أجملُ مِنكِ؟ لا

نوبِليسْ

للمؤلف

بنت يفتاح	الطبعة الأولى ١٩٣٥ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
قدموس	الطبعة الأولى ١٩٣٧ ــ الطبعة الرابعة ١٩٩١
المجدلية	الطبعة الأولى ١٩٤٤ ــ الطبعة الثالثة ١٩٩١
رندلى	الطبعة الأولى ١٩٥٠ ــ الطبعة الخامسة ١٩٩١
غد النخبة	الطبعة الأولى ١٩٥٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة)
أجمل منك لا	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مصححة ومزيد عليها)
لبنان ان حكى	الطبعة الأولى ١٩٦٠ ــ الطبعة السادسة ١٩٩١
كأس لخمر	الطبعة الأولى ١٩٦١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
اجراس الياسمين	الطبعة الأولى ١٩٧١ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
كتاب الورد	الطبعة الأولى ١٩٧٢ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
قصائد من دفترها	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
دلزى	الطبعة الأولى ١٩٧٣ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
كما الأعمدة	الطبعة الأولى ١٩٧٤ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١ (مزيد عليها)
الوثيقة التبادعية	الطبعة الأولى ١٩٧٦ ــ الطبعة الثانية ١٩٩١
خماسيات الصبا	الطبعة الأولى ١٩٩١

المجلّد الثاني

رندلى
غدُ النُخبة
أجملُ منكِ؟ لا

رنْـــدَلی

الطبعة الاولى ١٩٥٠
الطبعة الخامسة ١٩٩١

لفح الجمال

ألِعَينيكِ ؟

ألعينيكِ تأنّى وخطَرْ،
يفرش الضوءَ على التلّ، القمرْ ؟

ضاحكاً للغصنِ، مرتاحاً إلى
ضِفّة النهرِ، رفيقاً بالحجْر،

علّ عينيكِ إذا آنستا
أثراً منه، عرى الليلَ خَدَرْ.

ضوؤُه، إمّا تلفّتُّ، دَدٌ،
ورياحينُ فُرادى وزُمَرْ،

يغلِب النسرينُ والفلّ عسى
تطمئنّين إلى عِطرٍ نَدَرْ.

مَن تُرى أنتِ، اذا بُحتِ بما
خبّأتْ عيناكِ من سرِّ القدَر ؟

حُلْمُ أيِّ الجنّ ؟ يا أُغنيّةً
عاش من وعدٍ بها سِحْرُ الوَترْ.

*

نسجُ أجفانِكِ من خيط السُهى،
كلّ جَفنٍ ظلّ دهراً يُنتظرْ،

ولكِ النَيسانُ، ما أنتِ له،
هو مَلْهىً منكِ أو مرمى نَظرْ.

قبل ما كُوِّنْت في اشواقِنا،
سكِرتْ مما سيعروها الفِكَرْ،

قُبلةٌ في الظَنِّ، حسنٌ مُغلقٌ،
مشتهىً ضُمّ إلى الصدر وفَر.

*

وَقْعُ عينيكِ على نَجمتِنا
قِصّةٌ تُحكى وبثٌّ وسَمَرْ،

قالتا: « ننظُرُ »، فاحلَوْلى النّدى،
واستراح الظلُّ، والنورُ انهمرْ.

*

مُفردٌ لحظُكِ، إن سَرّحْتِهِ،
طار بالأرض جَناحٌ من زَهَرْ،

وإذا هُدْبُك جاراه المدى،
راح كونٌ تِلوَ كونٍ يُبتكَرْ !

الأنّا في الوجود

يا بَعضَ ما أنتِ، هل نَوال
لموعِدٍ بات في المُحالْ ؟

ولي، إذا تذكرينَ، عهدٌ
أبهى وأشهى من الخيالْ:

يا طيبَ ما انهار فوق زَندي
ذَيّالِكَ الخصرُ من دَلالْ،

ورائحٌ حبّنا وغادٍ
على نجومٍ، على ليَالْ،

يُعطِّرُ العِطرَ، فهو منّا
عن نفسه بعدُ في سُؤالْ.

ما الحُسنُ ؟ ما اللونُ في العشايا،
لوما طفَرنا على التِّلالْ ؟

وملّنا اللوزُ، فهو نَهْبٌ
مُخَمّشُ الزّهرِ والظِّلالْ؛

تلهو ونلهو بها الثواني،
ماذا ! أكفّت عن الزوالْ ؟!

سَكرى بما نحن مُطلعاه
في مدّ جفنيكِ، والمجالْ.

مِنّي اضاميمُ من قوافٍ،
ومنكِ تلويحةٌ بشالْ.

*

لأنّنا في الوجودِ، كانت
لَفتَةُ دنيا إلى الجمالْ.

مَوطن البلبل

غداً إذا غنّـيتَ، يا بُلبُـل،
وَرَقَّ للأُغنيّـةِ الجَنْـدَلُ،

ومـال للأَرْنـانِ في أيكِـهِ
غصنٌ، وألـوى جيـدَهُ سُنْبُـلُ،

وقَـرّبَتْ من رَبـوةٍ رَبـوةٌ
سكرانـةٌ، عن حالهـا تسألُ،

وقيل: « مِن أينَ؟ » فقُلْ: « جئتُ من
عينيـنِ لا أبهى ولا أجمـلُ ».

قصر الحبيبة

أبتني، كلّ ليلةٍ،
لكِ قصراً منوّرا،

حَجراً من زُمرّدٍ،
ومن الماسِ أحْجُرا.

أيُّ لونٍ ؟ سماءُ عينيكِ
أم خُضرةُ الذُرى ؟

أنا قصري من كلٍّ ما
شئتِ: كوني فيحضُرا.

طيِّعٌ، واهزجي يَطِرْ
بلكِ طيراً، ويَسكَرا.

خَيْطُ ضوءٍ يَرقى به
صَوْبَ نجمين ِ غَوّرا،

وثوان ٍ يدفَعنَه،
غُمّضَ الجَفن ِ سُمّرا.

*

وإذا جُزتُما المدى،
ومن النُور أبحُرا،

بالِغَيْ قُبّةٍ بها
يُصنعُ الحُلمُ والكَرى،

فاسألي عن أصابعٍ
ليَ، مسّتْ ذاك الثرى،

زرعَتْهُ — ورحّبَتْ
قبل أن زرتِ — أزْهُرا،

علّه يغتدي إلى
قصرك الحلو، مَعْبَرا !

*

وإذا ما مَلَلْتِهِ،
واسى وحشةٍ عَرى،

وتذكّرتِ أرضَنا
ورُباها، والأنْهُرا،

فاهجسي بي أُقبِلْ، وفي
بُردتي الكونُ اخضرا.

طبتِ، يا مَطلبي، اطلبي،
بَعد هدمٍ، فأعمُرا.

أنا، إن أنت هِمْتِ بي،
والسُهى حولنا يُرى،

أبتَني في النجوم لي
بعلبكًّا، وتَدْمُرا!

واقول: « امرحي، امرحي،
واقطِفي الشُّهْبَ كالكُرى.

لك، للّهوِ، للهوى،
بُدِّلَ الكونُ منظرا ».

عَلِمَتْ أُمّي بنا

عَلِمَتْ أُمّي بنا،
وبأشعارٍ على طِيبْ فمي.

مَرّةً في المنحنى !...
مَرّةً إحدى ! فلِمْ لَمْ تكتُمِ ؟

*

كنتُ لوناً، وامّحى،
ذاتَ قالت لي: « ضحىً أم في الغيابْ » ؟

قلتُ: « في الشِعر ضُحى،
وحوالَيْ مَغرِب الشمس الصوابْ ».

*

سألتْني: « والقُبَلْ،
أكما يزعمُه، كُثْرٌ عِذابْ ؟ »

قُلتُ: « بل إحدى، وهل
نالها، لو لم يكن قلبيَ ذابْ ؟ »

*

بُحتُ بالحبّ، فيا
شاعري، يا مُطلِعي إحدى الورودْ،

هيَ أدمتني هيا،
منذ قالت: « ما مضى ليس يَعودْ ! »



أُحِبُّكِ

أحِبّكِ في ذِلّة الراكعِ،
وأحيا على أملٍ وادعٍ؛

وأعرِفُ ألاّ أبوحَ بحبّي،
فأُبقي له مسحةَ الخاشعِ.

*

لَحُسنُكِ، كالطيفِ، شيءٌ كئيبٌ
يَهيم على شاطئٍ قابعٍ،

تَجَنّبُهُ نسمةُ المُنحنى،
وتُطرِق من لحظها الفازعِ،

تُراه من البَسَمات الثكالى،
وآناً من النغَم الضائعِ ؟

فيا بَوحُ، لا تَخْدُشِ الصمتَ منه،
ومن هدأة الحُلُمِ الشائعِ.

*

أُحبّكِ منكسرَ الطرْف، خوفَ
انفلاتِكِ من نظرٍ طامعٍ؛

وأمسحُ من عَبرتي في الخفاء،
فلا تقعين على دامعٍ.

وثغرُكِ لي فُلّةُ الفُلّ باتت
يتيمةَ ذاك الشذا الماتعِ؛

فذِكْرُ الربيعِ على سمعها
حرامٌ، وذكرُ الهوى الراجعِ !

سألتُكِ لا تسألي فيمَ أسكتُ،
عُمري، إلى قربك الشافعِ؛

وقربُكِ لي مَعبدٌ لا يُمَسُّ،
يُزار ويُلمَسُ من شاسِعِ؛

أحطّ به لفتتي من بعيد،
وأمضي على لذّة القانع.

لا تبوحي

لا تبوحي، يا مِرْكَيانُ، وطِيبي
بهوىً طاب خِفيةً عن حبيبِ.

أنا حَسبي أنْ أومأ الهُدُبُ الحُلوُ
لِأُسقى الحياةَ جَرعةَ كُوبِ،

*

فاكتميهِ، أخشى عليه نَدى الصبحِ،
وفَيءِ السنى، ولفحَ الهبوبِ!

وتأنّيْ، فقلبُك الطفـــلُ دُنيـــا،
حين يُعطي في صمتِ دمعٍ سكيبِ،

وابخلي، وابخلي الى يوم لا صحوٌ
لعيــــنٍ، ولا دَدٌ لِلَعُــــوبِ.

أجِدُ الحبّ فوقَ ما يحتوي البثُّ،
وزفُّ الشكوى، ورجعُ النحيبِ.

أنتِ، دون الحرائر البيض، لي وحدي،
فضنّــــي بأنّـــةٍ وشحـــــوبِ:

صُفرةٌ من جبينكِ الرحْبِ في الآفاق
عُرْسُ الألوان، عرسُ الخُضوبِ؛

واعتلالٌ من صوتكِ الناحلِ الشاكي
انتقـالٌ إلـى نعيـــمٍ عجـــيبِ.

لا تبوحي لي بالهوى، أو يَغصّ
الليلُ بالحب، والرضا، والطيوبِ،

وتَشيـلَ الدنيـا بنـا صوبَ دنيـا
نضْرةِ الضوءِ، ذاتِ نشرٍ غريبِ،

حيثُ لا يأمـلُ الحيـاةَ تُرابِـيٌّ،
فأقضي مع هينمـات الغـــروبِ.

ودعيني أهيـمُ قربَكِ لا أدري:
ألي أنتِ أم لوهمـي المُـريبِ؟

واذا الليلُ ضمّنا، قلتُ: «حُلمٌ!»
ثم خِفتُ انفلاتَ ليْلي الرحيبِ!!

*

أسكتي من سكوتِ حُبّكِ، واغنَيْ،
بِركَيانـي، بزَنـديَ المستجيـبِ؛

نحن في ساعةٍ مهفهفةِ الأجنُحِ،
تذري الهنــاءَ ملءَ الــدروبِ؛

كلُّ ما في الوجود نحلٌ على زهرٍ،
ففُرّي من الوجــود، وغيبـــي.

سُلافُ العُصُور

لنـا، يومَ لا مَوْعِـدٌ، لا أمَـــلْ،
لنـا قُبَـلٌ في ادِّكـــار القُبَـــلْ!

شَغَلْنــــا الأزاهـــرَ، ما همّنــــــا
نموتُ الضُحى، أو نموتُ الطَّفَلْ.

لنـا عِلّةُ الـــوردِ، لا شكلُـــــهُ،
فما العمرُ؟ ما كَرّهُ في مَهَلْ؟

ونحنُ، هَوى الليلِ نحنُ ! ونحنُ
ارتماءُ النُجَيْماتِ فوقَ الجَبَل !

شجى الدهرَ أنّا دَرَينا به
حديثاً، ولم نَدرِ منذُ الأزَلْ !

ليالي المغنينَ أنتِ، فقولي،
وُجدتِ أم أنّكِ في المُحتَمَلْ ؟

هَمَمْتِ بأن تخطُري في الوجود
ولم تفعَلي، فاعترَتْهُ العِلَلْ.

وأفرغتِ، مما هما، الأمسَ والآنَ،
فارْضَيْ عن الغدِ أو يُبْتَذَلْ.

*

أنا اشتقتُ حتّى لألقى مُحيّاكِ
في نَقْرةِ العودِ، أو في الغَزَلْ؛

وألمـــحُ خصرَكِ في شهقـــــةٍ
تَلوَّى المغنّي بهـــا واعتـــدَلْ.

*

تفكَّرتِ، فالبـالُ سُكنـى الربيـعِ؛
وقطَّبـتِ، فالصحوُ، ذاكَ، ارتحَلْ.

وأنمُـلُكِ البيضُ نَقْـلُ الوجــودِ
عليها، وفي الهُدْب وَقْفُ الأجَلْ.

*

أسُكْرٌ ؟ وأنتِ سُلافُ العُصورِ،
ونَكْهَتُهـا، وَهْـيَ في المُستَهَـل.

رَنينُ حِلِيِّكِ من لهْوِ صيْدوُنَ
بالمجـــدِ في ليلـــةٍ لا تُمَـــل؛

أباريقُهـــــا خُوَذُ العائديـــــنَ
من الفتحِ، والسكبُ من ذات دَلْ؛

وندمانهـــا السَافِطــون الأُولــى
يُهيبـون بالعَــزْمِ أن يُرتجَـــلْ؛

يقولـون: « يا بحـرُ، يا بحرَنـا،
لِحَدِّكَ قلنا: « انتقِلْ ! » فانتقَلْ ».

رنيـنُ حِلِـيِّكِ يوقـــظُ صُوراً،
وقرطاجـــةً، والـــعصورَ الأُوَلْ؛

ويمـــلأ أيدِيَنـــا أنجُمـــاً
نَذُرّ على النـاس منهـا الأقـل.

فإنْ فاحَ زَهـرٌ فنحـــن الشذا،
وإنْ طاب شُرْبٌ فنحن الثمَـلْ.

إثر الغفوة

أفيقي على قُبلةٍ تَسمرُ
هزيعاً له تُزهِرُ الأعصُرُ؛

نهيم مع الساهياتِ النجومِ
ويَندى بنا الأُفُقُ الأقمَرُ.

أحاديثُنا نغمةٌ في المروجِ،
تَؤوهُ على رَجْعِها الأنهُرُ.

ونحن، أولي الشعرِ، نَهمي هناءً
على الناسِ، والناسُ لا تشعرُ.

حملنا الربيعَ على الراحتينِ،
فمنّا، ومن حُبّنا، العَنبرُ.

وأعمارُنا ملتقى شفتينِ،
نُمِيلُ بها الكونَ أو نُسكِرُ؛

ونهفو إلى الموت أشهى المُنى،
إذا لاح في قُبلةٍ يُبشرُ.

*

أفِقْ، يا سِوىً مغرماً بالوجودِ،
فنحن الغرامُ الذي يُؤثَرُ.

سَحَرْ

ــ مَن يُغنيّكِ، إن أنا
لم أُلوِّنْ لكِ السَّحَرْ ؟

ــ بُلبلٌ مَرّ مِن هُنا،
يومَ قَلّدْتَني القَمَرْ.

ــ وإذا الغُصنُ ما سَكَنْ
تحتَ ريحٍ لم تَهمُدِ ؟

ـــ قلتُ: « يا بُلبلي الحَسَنْ،
هاكَ فاصدَحْ على يدي ».

ـــ وإذا اشتال ما انثنى،
ونأى في مدى الفِكَرْ ؟

ـــ لا تَلُمْهُ، وباسمنا
شاء أن يُسكرَ البَشرْ

بلبلٌ مَرّ من هنا،
يومَ قلدتْني القَمَرْ.

نُجُوم

سَمِعَتْ بنا
انجُمٌ دُرَرْ ؟

فتلفَّتَتْ
تسأل الخبر ؟

أنتِ، يا أنا ؟
وأنا البشر.

ما لها الدُرَرْ ؟

*

أنتِ، يا أنا،
وأنا الدُررْ ؟

باتَ عندنا
ليلَهُ القَمَرْ !

أنتِ، يا أنا،
طالَ نومُهُ،

أيْقظي القَمَرْ.

*

باتَ عندنا !
كيف لم أغَرْ ؟

وغداً، إذا
مرّ من هنا،

ورمى لنا
باقةَ الزَهَرْ،

أُطرُدي القَمَرْ !..

*

أنتِ، يا أنا،
وحدَكِ القَمَرْ.

إلى مغنّيها

يا نجِيّي، ونجِيَّ
الأنجم البيضِ الحِرارِ،

غنّني، أشهى من الغفوِ
على الصَدرِ المُداري،

طُرفةً شَفّافَةَ النبرةِ،
عذراءَ الإزارِ،

مِن سَنى السَوسَنِ فيها
ودماليج الصِغارِ،

ومن التجوابِ والتيهِ
بأحضانِ الصحاري.

شُقّ آفاقاً من الألحانِ
ملأى بالجواري،

طافراتٍ من غِوىً
آناً، وآناً في انسحارِ،

كاسياتٍ من بهاءٍ،
ومن الوهم عَوارِ.

*

واسترِقْ، من نَقلةِ
الحسّون فوق الجُلّنارِ،

آهةٌ حُرّتْ بلَفْحِ
الظُهرِ، أو شِيبَتْ بنارِ،

تَتعالى، تتعالى
وُسْعَ شوق وانتظارِ،

أتُرى عند شفاً، حطّتْ
بهذي الأرض، هارِ ؟

عَلّقتْ عن جريه الليلَ
وهمّتْ بالنهار،

فَهْيَ أُفْقُ المنتهى،
والكونُ منها في دُوارِ !

*

وإذا شبّبتَ باسمٍ
بات معشوقَ الجِوارِ،

هاتفاً، مُحلوليَ المَدّة،
مغناجَ القَرارِ :

« مِرْكَيانٌ، مِرْكَيانُ
العمرِ، كَرّاتُ الكناري » !

أَخَذَتْ تسّاقط الشهبُ
علينا، والدراري.

*

ساعةٌ وانفلتَتْ !
ما نَجْدُ ؟ ما شَمّ العَرارِ ؟!

مِرْاكين

لي أنتِ كالخمر المُضِلَّهْ،
كالصحوِ، كالنّغَمِ المُولّهْ،

حَلمَتْ بك الدنيا، وغنّتْ
أنجُمُ الليلِ المُطِلّهْ.

مِن كَرّة الحسّونِ أنتِ،
ومن هواه، ومن تَعِلّهْ.

نام الربيعُ على يديكِ،
فمَن أحسّهما ودَلّهْ ؟

لا تسألي عن سكرتي،
وعلى لماكِ عرفتُ نَهْلهْ.

أغمضتُ أجفاني عليكِ،
أضمّ فيكِ العمرَ كُلّهْ.

وذهبتُ في الآفاقِ لحناً
متعباً، إلاّ أقلّهْ.

ولو آنّني خُيّرتُ بين
بقيّتي وفتورِ مُقْلهْ،

ويروحَ هُدْبُكِ يتني
دنيا، وينسفُها بِوهْلهْ،

لأتيتُ هُدبَكِ، ما رشَقتُ
ثوانياً بَقيتْ بفُلّهْ.

ما العمرُ ؟ ما طيبُ العُلى ؟
وأنا أبيعهما بقُبلهْ !

الحُلمُ الأشقر

تُرى تولّى حُلمُنا الأشقرُ ؟
وغابَ ليلٌ حولهُ مُقمر ؟

وقُبلةُ الجيدِ وذاك الشذا ؟
ماتا ؟ فما في البال ما يُذكَرُ !

ولا سُهىً يحنو على حبّنا
بعدُ، ولا زقزقةٌ تؤثَرُ ؟

ولا رُبىً تغرقُ في وَهْمِنا
خُضراً، وفي ضمّتِنا تُزهِرُ !

تُرى مضى الماضي ؟ ألا ضمّةٌ
منه على صدريَ تخضَوضِرُ ؛

أشتاقُني فيه، ولو موجَعاً
أهزُّ أحزانيَ أو أُسكرُ ؛

ولو جريحاً من يديها، إذا
أُعاتبُ الأنمُلَ أستغفِرُ.

*

فيا يدي، شُدّي على أضلعي
أخشى على أريجها يَهجرُ.

شُدّي، فحيثُ اتكأتْ مرّةً
يظلُّ مثلُ الصحو أو أنضرُ.

إلى مطربة

على مهلكِ الآنَ في جَرحة الآهِ
فالليلُ طاب، وجُنّ الوتَرْ،

وشاعت على الرجع أجنُحُ طيرٍ،
وأُحدوثةٌ، وضياءُ قَمَرْ.

تُراه تَرنّح ذاك الغرامُ،
وزحزح عنه ظلامَ الحجر ؟

على مهلكِ الآنَ في لفتة الرَّصْدِ،
فالساعةُ انفلتتْ في الفِكَرْ ؛

يَهِشّ لها الصخرُ فوقَ الجبالِ،
ويغفو الرّدى، ويرقّ القَدَرْ.

إخالُ الحبيبةَ عادت تبوحُ،
وتنهَدّ في القُبُلاتِ الغُمَرْ.

*

على مهلكِ الآن، إنا رشفْنا،
على نغمتيكِ، زماناً عَبَرْ.

وهِمنا على قُبلةٍ في الفضاءِ
الرحيبِ، مخضّبةٍ بالسّحَرْ.

تُرى ! حُلُمٌ نحن فوق النيامِ ؟
تُرى ! سكرةٌ نحن بين البشرْ ؟

تجلّي، هَذاذَيكِ، بالنّهَوَنْدِ
ورُدّي لياليّ بيضَ الصُّوَرْ.

وغنّي اللُّقاءَ، وغنّي الشرودَ
على ضفةِ النهر، فوق الزّهَرْ،

وغنّي ارتمائي على صدرها،
ومَسرايَ في هُدبها والنَّظرْ ؛

وغنّي « أُحبّكَ أكثرَ من أمسِ
عهدي، أقلّ من المنتَظرْ » !

وغنّي، وغنّي إلى أن أموت
مع اللحن، والمرتَجى، والذِّكَرْ !

على رخامة

أنا مِركَيانُ الخَيالْ،
أنا ماتَ بعدي الجمَالْ !

وللصحوِ شهقةُ طفلٍ
عليّ، ودمعٌ سِجالْ.

*

يُكنّي، فما باح باسمي
فتىً، أُنْسُ هذي الجبالْ.

يخاف عليّ الفراشات
طارت، ونفحَ الشَّمالْ.

يقول : « عتِبتُ وأُدمى
إذا مَعْتَبي منكِ نالْ !

قسوتِ، فهذي الزنابقُ
أعناقُها للزوالْ !

وهذا الغمامُ على الأُفْقِ
خمّش خدًّا، ومالْ ؛

فعودي تَعُدْ نكهةُ العُمْر،
عُودي، ولو وَمْضَ آلْ » !

*

صدقتَ، حبيبي، وامسِ
مررتُ كصحوٍ ببالْ.

لِخَمسٍ بقِينَ مِنِ الورد
يومي، وإن شئتُ طالْ.

وايّارُ بعضُ بنانيَ
موضوعُه، والمجَالْ.

عَبيرٌ، عبيرٌ، فَلِمْ بتُّ
وحدي العبيرَ المُحال ؟!

ولِمْ قَلَقٌ في الغصونِ
وللزقزقات انشغالْ ؟

أما لمروريَ ذِكرى
هُنا، أو خَيالَ خيالْ ؟

لِأجليَ كان الوجودُ
وجوداً، وكانت لَيالْ.

*

حبيبي، ستسألُ عنّي
الورودُ، كأني سُؤالْ !

وما بعدَ عينيّ بَعْدٌ،
ولا كان قبلُ احتمالْ.

حبيبي، إذا عدتُ يعتلّ
نهرٌ، وحَوْرٌ، وضالْ،

وأُغنيّةٌ مَدُّ هُدبيَ
بَدءٌ لها وارتحالْ،

ويوجِعُ مَرّي على الأرض،
كالوعدِ بعد الدلالْ.

*

سوى أنّ صوتكَ عذبٌ،
ومدُّ يَديكَ نَوال :

تِلالُ، سُدىً، يا تلالُ،
استلنتِ وهِلْتِ الظِّلالْ

فما أنتِ بعدُ ضريحي،
وإن كنتِ أبهى التِّلالْ.

ضريحيَ شِعرُ حبيبي،
أطيرُ إذا ما يُقال !

الرأسُ الأشْقَر

يُلوِّحُ لي مِن هُناك

يلوّح لي من هناكْ،
من الموجَعات النجومْ،

من الريح، خلف الغيومْ،
وكرّ الحساسينِ خلفَ الأراكْ.

*

مَنِ الحُلوُ، يا أُمّ ؟ لا عَهدَ لي
بزندٍ يطوّقني فأغيبْ،

ليوقِظَني، فوق عشبٍ رطيبْ ؛
يقول : « إلى الأجملِ الأجملِ »،
ويرشُقُ بالوردِ دمعي السكيب.

أأحلُمُ، يا أُمُ ؟ هذا الغرامْ
على بابِنا ينتظِرْ.

أيومئُ لي وألامْ ؟
ــ حنانَيكَ، خذني وطِرْ !

*

إلى مَ أنا مشتهاكْ،
وراء الدُجُنّات والعاصفَهْ ؟

وفي الرعد، والزعزعِ القاصفه ؟
إلى مَ تلوّح لي من هناك ؟!

نَجْمَةٌ

حُلوتي الشقراءُ، يا قمَرُ،
عندها عَن ثغرها خَبَرُ ؟

أنتَ قد ضاحكتَها، ليلةً،
ورآها تبسِم الزَهَرُ؛

فانظرِ الآن حِيَالَ الرُبى،
عَبَقَ الريحانِ ينتشرُ،

وغماماً شَفّ عن لؤلؤٍ
فيه من انفاسها أثَرُ.

*

فمُها هَمٌّ بأغنيّةٍ،
وضياءُ الصبحِ ينهمِرُ.

نبأٌ عن شَعّةٍ أمرعتْ
في الثنايا، نبأٌ نَضِرُ،

نَبأٌ عن مَيْسة الأرض في
سَوفِها والله يفتكرُ !

*

يا هناءَ اللونِ، يا زَيغَهُ
في فمٍ بالصحو يأتزِرُ،

مُؤنقِ الحُسنِ، حَيِيّ الندى،
هَشّهُ للحُلم مبتكَرُ،

تُقمر الأوراقُ، إن يتسمْ،
ويُغالي الأملدُ الخَضِرُ؛

وَقْفُه في الآنِ معزوفةٌ
لم يَبُحْ بعدُ بها وَتَرُ؛

حاولتْ نحتاً له جهلتي،
فإذا ما أقبل العُمُرُ...

كان، يا مَبسَمها، كان أنْ
سكِرَ الإزميلُ والحَجَرُ.

رُؤًى

خطَرَتْ لي في صَحْوٍ بالْ
أمْ رواها وهْمُ الخيالْ ؟

أم شجى العُودَ لحنُهُ،
فمضى يعزفُ المُحالْ ؟

أنا خِلتُ الأُفْقَ التقى
أُفُقاً آخراً، وشالْ،

هَزِجاً لارتحالِهِ،
عبرَ أهدابها الطِوالْ.

فتعافتْ دنيا، ولم
تهدإِ الهدأةُ الزُلالْ.

وألّمتْ بالمنحنى
غيمةٌ تفرشُ الظِلالْ.

*

ما هواها ؟ ما لونُها ؟
ضمّةٌ حُلْمُ مَن يَنالْ؛

هَبّةٌ لم يَبُحْ بها
زهرُ نيْسانَ للتِلالْ؛

لا، ولا ضجّ بالغِوى
غُصُنٌ قبلها، ومالْ.

*

هِمتُ حتى لَفي يدي
قامةٌ مَضّها الدّلالْ،

مرّةً لي، ومرّةً
تختفي، كالتماعِ آلْ.

مُرهِقي، يا غِيابَها،
مِرهِقي، أنت، كالجمالْ.

نیانار

خمر العيون

أمِنْ خمرةٍ أم لا خيالي مطيّبُ
لوهمِيَ، يا عينانِ، أنّيَ أشربُ ؟

أحبّكما: رُدّا عن الأفقِ لفتَةً،
شكاةَ هوى، تُوهي الغمامَ وتُتعبُ.

لهذي التي تُدعى البريّةَ مطلبٌ
بأن تَطلعا فيها: فهل بعدُ مطلبُ ؟

ألم يكفِهِ نجماً لنا ان خطرتما
على باله، يوم الخواطِرُ خُلّبُ ؟

ولِمْ كنتُما ؟ هل للجمال تعِلّةٌ
بما بعدَه ؟ ما بَعْدَ ما هو مأربُ ؟

تأنّيتُما حتى ليَضحكُ طافراً،
مدى الهُدب، نيسانٌ فَتِيٌّ محبّبُ.

فهل قَدَرتْ قَدْرَ التقائكما الرّبى،
وماد كفافَ المَيْد غصنٌ مُشبّبِ؟

أجُلّكما عن ان يقال: « نظرتُما
إلى الأرض»، ما دامت تضيق وتُجدب

*

أرى المنتهى آناً من الدهر شارداً
توقّفَ عندَ الجفنِ يحيا ويلعبُ

له اللهُ! ما الحلمُ الذي عاش بعضَه،
على شاطئ العينين، فارتاح يَطربُ؟

يقول: « بحارُ النور هذي » فطِرْ بنا،
أيا زورقاً في اللحظ ناداهُ كوكب.

لِعَيْنَيْ نَيا بَدءٌ أنا مؤمن بهِ،
ومن قال: «قد يأتيهما الموتُ»، يكذبُ.

تقول نيا: « لِمْ كان ضوءٌ؟ ألذّةً
بضوءٍ أم انّ الناظِرِيَّ تطلّبوا؟

أنا يومَ أعلنتُ الوجودَ زيارتي
له، استعجل العُبدانُ ما اتجلبَبُ؛

فكانت ـــ أظُنّ ـــ الشمسُ بين حوائجي،
أُعِدّتْ لعيني حين قلتُ: « سأرقَبُ ».

ترحيب

بلدٌ، يا نعيمَهُ،
طابَ مُذْ زُرتِهِ ثَرَى.

فرشَ السهلَ سَوسَناً،
والمَطلاّتِ عَنبرا؛

وعرى شَوكَهُ الحَيا،
فتمنّى أن يُزهِرا.

*

لكِ جسمٌ، يا بيلسانُ
استندْ: لافِحٌ سرى !...

خلعةُ الشمس عُرِّيتْ
للأزاميل مرمرا.

ما بياضٌ ؟ ما زنبقٌ ؟
ما غِوى الثوبِ جُرِرا ؟

حُلُمٌ، إن يَلُحْ فغُصَّ
وعَرِجْ على الكَرى،

عَبَثٌ ضَمُّه، ومَدُّ
ذراعيكَ مُفترى !

*

ما لِهُدبٍ مِزَجَّجٍ،
موجِعي منذ صُوِّرا ؟

أسمعيني مما حكى،
ما أنا منه أشعَرا.

هو إن قال: « غنّني
فوق ما الوهمُ قَدّرا »،

أهَبُ السَهْلَ أجنُحاً،
وحصى النهر أزْهُرا،

وأخلّي من السماء
على الأرض مِئزَرا.

*

ولَعيناكِ قُبّتا
فلَكٍ طاب مَقْمَرا،

مِن ورود سودٍ، ومن
أنجمٍ شُبّكتْ عُرى؛

صفحةٌ من كتابِ قُدْسٍ
فصلّينَ، يا قُرى !

ذاهلٌ، يا هوايَ، ينسجُ
لي شَعرُك السُرى،

وارتحالاً إلى ذُرى
كوكبٍ فوقَ سُمَّرا.

اوْمِئي، تومئُ الحياةُ
وتنهَضْ بنا الذّرى؛

وتهزّ الوجودَ كفٌّ
من الله لا تُرى.

نيانار

أطْيَبُ ما في الطيبِ، أغوى من
الإغواء، أنقى من مطلّ الصباحْ.

كانت، فكان الحسنُ، وازيّنتْ
مُلْدٌ، وغنّى حول قدٍّ وِشاحْ !

قَطْفُ اسمِها من ياسمين، فيا
فَراشتي، مهلاً برفّ الجَناح.

خاطِرةُ البال نيَا، قالها
يخجّل الشمسَ شعاعٌ وَقاحْ؛

مَلأى: أكَدْسُ الوردِ ذيّانِكَ
الخصران، أم كَدْسُ الشِفارِ الصِحاحْ ؟

مَستّهُما آناً، وآناً وَهَتْ .
خوفَ يطيرانِ إذا الزّهرُ فاحْ؛

بالعَشْرِ ، طَلْعِ الضَوءِ، مبريّةً،
قيلت بَناناً، فادّعتها المِلاحْ،

وشاقَه أن يُجتنى مرّةً
وتُحرمُ الجنّاتُ منه الأقاحْ !...

*

في الغيب لونٌ هاجعٌ لم يَفِقْ
بعدُ، ولا هُمّ به في بَواحْ.

لا بُرتقاليٌّ، ولا أبيضٌ،
أغنيَةٌ من الزُلال الصُراحْ،

صُبّ مُحيّاً، إن أطلّتْ به،
سرى على كلّ نسيمٍ سَماحْ.

*

وكان شيئاً ان ترى ارضَنا
عيناكِ، يا سكْباً من العُمرِ لاحْ.

أجملَ من عينيكِ

أجملُ من عينيكِ حبّي لعينيكِ !
فان غنّيتُ، غنّى الوجودْ.

في نجمنا أنتِ، وفي مُدّعى
أشواقنا، أم في كَذابِ الوعودْ ؟

كنتِ ببالي فاشتممتُ الشذا
فيه، تُرى كنتِ ببال الورود ؟

☼

سُكناكِ في الظنّ، وهذي الدُنى
تلهّفٌ باكٍ، وقلبٌ حسودْ،

وتدّعيكِ الأرضُ دعوى صَدٍ
إلى الهوى ضمّ السّرابَ الكؤودْ !

*

لأجلِكِ اخضلّتْ رُبى جنّتِي،
وماد يستهويكِ غصنٌ مَيودْ؛

واستيقظتْ من غفوها كرمةٌ
تحلُمُ بالسَكْبِ وثَنْيِ القُدودْ.

*

كُوّنتِ من توقٍ إلى الحسنِ — لا منك —
ومِن مدّ يدٍ صوبَ جُودْ.

هل تعرفُ الأوتارُ في أوجِها
فضلَ المشوقينَ إلى صوتِ عودْ ؟

*

آهِ انْخلَعِي ما انتِ من خاطرٍ؛
أتعبتِ، من شوقٍ اليكِ، الخلودْ.

كوني يَكُنْ للعمرِ معنى الطَّلا،
وللثواني فَوْحُ مِسكٍ وعودْ.

مَوعدُنا هُنيهةٌ أفلتَتْ
في الدهرِ تختطّ وتمحو الحُدودْ

والكونُ أشهى ما تراءى لنا
أُرجوحةٌ طارت بنا لا تعودْ.

*

أجملُ ما يؤثَرُ عن أرضنا
أوهامُها أنكِ زُرتِ الوجودْ.

مِنْ ذَٰلِكَ

القَمَر

مِن رَوابينا القَمَرْ.
جاءَهُ، أم لا، خَبَرْ ؟

جايلَتْهُ رِنْدَلى،
ودُمى الحُسنِ الأُخَرْ.

طال ما فاجأنَهُ
حافياً فوق الزَّهَرْ؛

مَزّقَت من ثوبهِ
نَزَواتٌ لا تَذَرْ.

هُمّ ؟ ما هُمّ، ومِن
غزْلنا يُكسى القَمَرْ.

العذارى، حولَهُ،
في الرُبى عِقْدُ شَرَرْ !

ضِحكةٌ طافرةٌ،
ونشيدٌ في الأثَرْ.

والمساءُ المنتحي
بعضَ هاتيكَ الصُوَرْ

ذاهلٌ، شالَ به
صوتُ نايٍ مُبتكَرْ؛

والروابي نهضت
فوق تَجواب النَظرْ.

يا تُرى العُمرُ قمر ؟

مُرّي ببستانِنا صَبَاحًا

مُرّي ببستاننا صباحاً،
أو رفرفي،

يا رِنْدَلى، واسمعي الأقاحا
نادى: « اقطِفي ».

*

هَنّا وهنّا على الدروبِ،
مِسكٌ فَتِيتْ،

مُدّي يداً، واهتِفي: « حبيبي،
ها أنا جيت ».

*

خَدّامُنا طَيِّبٌ، تُقالُ
عنه العِبَرْ.

قولي له: « جاءَكَ الجمَالُ
يجني الزَهَرْ ».

*

سَليه: « حقاً أنا الجمَالُ » ؟
يقُلْ: « بلى،

والمنتهى أنتِ، والخيال،
يا رِندلى... »

*

فسطائُكِ اللَيلَكيّ عِيدُ
إذا خَطَرْ،

تسأَلُ عن حُلمِها الورودُ:
« متى انتشر » ؟

*

تُفْدَينَ: سَمّي ما تجهلينَهْ
باسمٍ جديدْ،

تنسَ اسمَها كلّ ياسَمِينَهْ
وتستعيدْ.

*

مُرّي بِدِفلى هامَت بسَوسَنْ،
ولم يَفِ؛

قولي لها: « الصفحُ عنه أحسنْ »،
ولطّفي.

*

وداعبي الفُلّ حينَ يُصرَعْ
على الثرى،

ولامسيهِ بضوءِ إصبَعْ،
فينضُرا.

*

واقضي ببستاننا النهارا،
واقضي العَشِيّ،

في البال نقلُ الخُطى الحَيارى
شيءٌ شذِيّ.

*

وإن تهاوى الدُجى عَليكِ
وما انتظَرْ،

نادى أجئْ حاملاً إليكِ،
ضوءَ القَمَرْ.

البخت الأبيض

يا يختَها الأبيض،
أقلِعْ بنا،

كاد السنى
من حُسنها يمرَضْ.

أقلع بنا،
يا يختها الأبيض.

*

قد أقبلتْ تَطرَبْ
أُختُ الشُعاعْ.

أرخِ الشِراعْ،
وابلُغْ بنا الكوكب.

*

ما هَمّ ؟ طِرْ، ما هَمْ
هذا الزَبَدْ ؟

طإِ الجلَدْ،
واهزأ بِهولِ اليَمْ.

*

سُمِ الرياحَ الوَيلْ،
هِجِ البحارْ،

خلِّ الدُوارْ
يصيبُ جِسمَ الليلْ.

دَعْ رِندلى تَهزَجْ،
دعْ رِندلى،

واسكَرْ على
أغنيّة الدِملَجْ.

*

هَيّئْ لها الوعدا،
عند الغيومْ،

قُلْ للنجوم:
« كوني لها العِقدا ».

*

هذاكَ نجم عَبَرْ
في دربنا،

عرّجْ بنا
على خليج القَمَرْ.

*

يا يختُ، جزتَ البَونْ،
لم يبقَ شَيّ

سهرانُ حَيّ،
الآكَ خلف الكَونْ.

*

لا قلتَ، يا يختُ: « أينْ ؟
أينَ البِحارْ ؟ ».

لكَ القَرارْ
في منتهى عينين !

أين البحار ؟
لا قلتَ، يا يختُ: « أينْ ؟ ».

نِداءُ الربيع

لِمن، رِندلى، الليلةُ الصاحيةْ ؟
وأطلالُ انجُمِها الساهيةْ ؟

وشَبّابةٌ من وراءِ الغَمامِ،
دعتنا إلى عطفة الرابيَةْ ؟

تعالَيْ، لقد كوكبَ الليلُ عَمْداً
وأيقظَ من حُلمها الثانِيَةْ.

أنا فوقَ صدركِ أطيبُ رُوحاً،
وأطرَبُ شِعراً، وأصفى نِيَهْ؛

خلعتُ شبابي على نافرينِ
به، وعلى فَجْوةٍ عاريَهْ.

*

هواكِ الربيعُ، وأزهارُهُ،
وروضتُهُ الغضّةُ النامِيَهْ،

وانتِ، غداً، في فم الناس لحنٌ
طروبٌ، وأُحدوثةٌ زاهيَهْ.

أضَعتُكِ في خفَقاتِ الضُحى،
وفي وشوشات الصَبا النائِيَهْ.

وألقاكِ في شكوة السامرينَ،
مساءً، وفي أنّة الساقيَهْ.

*

ضممتُكِ بالحُلم، فالافقُ ذاكَ،
من الوهْجِ مُضطرِمُ الحاشيَهْ؛

وارسلتُ حبّكِ في الفُلّ، في الورد،
حتى لتَحسدُني الآنيَهْ.

*

لك الحسنُ، يا رِندلى، لك دُنيايَ،
والشِعرُ، والقِمَمُ العاليَهْ !

شال

مُرخىً على الشَعر شالْ
لِزندلي.

هَلاَ، هَلاَ
بِهِ، بِها، بالجَمالْ !

*

من ؟ يا حبَابَ الكؤوسْ،
مَن جمّلَكْ ؟

مَن فصّلَكْ
حلواً، كحُلْم العروسْ ؟

*

لِمْ ثِنْيَةٌ تشتكي
ثم تغيبْ ؟

— هِمْ، يا جيبْ،
بلونيَ الليلكي.

هِمْ، لا تُقرّبْ يدا،
هِمْ بالنظَرْ،

أبقى الأثرْ،
ما لم يزَلْ مُوصَداً.

*

يا طيبَ شالٍ تُلَمْ
عنه النجومْ،

وبي هُموم
لِأن يُرى أو يُشَمْ !

*

قُيّض لي موعِدُ
في ظلّ شالْ؛

تُرى الخيالْ
سُكنى ومُستَنْجَدُ ؟

*

ما لي سألتُ الزّهَرْ
عن منزلي ؟

فقيل لي:
« هُناكَ، خلفَ القمر ».

نجوى القمر

يا مرحباً بالقَمرْ،
في الموعد المنتظرْ،

بين الربى والغَمامْ.

دنياكَ، مذ تبسِمُ،
قِيثارةٌ تحلُمُ،

سكرانةٌ من غَرامْ.

*

مِن اينَ، يا ذا السُرى ؟
مِن عندها، يا تُرى ؟

خبِّرْ وهاتِ اليقينْ.

يا هل تَرى، لم تزلْ
سكرى بتلك القُبلْ ؟

سكرى بَراها الحنينْ ؟

*

يا رغدَهُ موعِدا،
يَملأُ منيّ الغدا.

ذكرى ارتياح وطيبْ،

أوانَ ــ ما أجملا ! ــ
تَضمّني رِندلى

وما سواكَ الرقيب.

*

قُلْ، يا رفيقَ السمَرْ،
هل للهوى من أثر،

لولاكَ في العاشقين؟

داعبتَ هذا الفنَنْ،
ايقظتَهُ للحَسَنْ،

علّمتَه أن يلينْ.

*

ضَوؤُكَ، والأنجُمُ،
قصرٌ به ننعَمُ،

فاسبَحْ بنا في الخيالْ.

إبرَحْ حدودَ الزمَنْ،
وإهبِطْ بنا في عَدَنْ،

حيث المُنى والجمَال.

*

وافرُشْ دروباً لنا،
في عطفة المنحنى،

بالورد، بالياسمينْ.

يا قمري، يا قَمَرْ،
ما غيرُنا في البشرْ،

ما غيرُنا الساهرين.

أنتِ والیختُ وأن نُبحِرا

انتِ، والیختُ، وأن نُبحِرا
في الریاحِ اللیّناتِ الهُبُوبْ،
في التعلاّت، وخفْقِ الطیوب،
في الذرى

مِن خِضَمٍّ لَیْلَكيّ الغُروبْ،
كادَ، مذ أومأت، أن یُزهرا...

*

انتِ، واليختُ، وأن نَغرُبا،
آخرَ الأرض، عن العالَمينْ،
عن عزيف الجِنّ، والسامرينْ،
عن رُبى

طُرِّزَتْ بالورد والياسمين،
نبتغي، خلف السُهى، مطلبا...

*

انتِ، واليخت، وأن ننزِلا،
في المساءِ اللؤلُئيّ الغُيومْ،
شاطئاً نَسيْاً باحدى النجومْ،
خُمّلا،

منذُ ضاحكناه، هَمّ الهموم...

آه ! ما أجملَ، ما أجملا !

ماذا؟ انتهى كلّ شيءٌ؟

ماذا ! انتهى كلّ شيءٌ ؟
وما قلتَه، أمسِ، لي
بأني غدُ البُلبُلِ،
وقدّيَ مِن صندَلِ،
ومن كَدْسِ وَردٍ، وفَيّ؛
ماذا ! انتهى كلّ شيّ ؟

*

ماذا ! انتهى ؟ لا إلهْ
على الصخر يُضفي الحياهْ ؟
من الشمس يأخذ بَذرَهْ،
ومن سُمرة الليل سُمرهْ،
وخمسَ زنابِقْ،
عذارى، روائقْ،
يُذّوِّبهنْ
بعِطر السَحَرْ،
بأغنيّةٍ من قَمَرْ؛
ـــ « وكوني، وكوني الجمالَ »، أكُن ؟
سألتُكَ رُدّ عَليّ،
ماذا ! انتهى كلّ شيّ ؟

*

ماذا ؟ وقولُ الإلهْ

(وقد اوشكتْ تستبينْ

ملامحُ مِن ياسمين

جلَتْها يداه):

« بلى أذكرُ

نسِيتُ نسيتُ الشفاهْ،

فلا ضحكةٌ مشتهاهْ،

ولا قبلةٌ تُسكِرُ ».

ويُلوي عَليّا

بظفرٍ له مُلهَمٍ،

يخدّشُ ضوءَ المحيّا:

ــ « وكُنْ، يا احمرارَ الفمِ !... »

وساعةَ شئتَ القُبَلْ

أطايبَ لم تُبتَذَلْ،

شبكتَ يَدَيّ...

ماذا ! انتهى كلّ شيّ ؟

*

ماذا ! انتهى ؟ لا تُجيبْ ؟

أيبقى، إذا أنا لمْ

أُشَمّ، غداً، وأُضَمْ،

هناءٌ وطيبْ ؟

أسِرّ ولا تنسَ، لا،

أنا، يا حبيبْ،

أنا رِندَلى،

أسرّ أسرّ إلَيّ.

ماذا ! انتهى كلّ شَيّ ؟!

الخُصُورُ المُغَنِّيَة

الموعد الضائع

ما همّني ؟ ـــ والطيبُ لا يَخمُدُ ـــ
إن مَرّ، مِن دوني أنا، الموعِدُ !

غداً، أجيءُ الدارَ اخلو إلى
بقيّةٍ من عهدِها تُعبَدُ؛

تَهشّ لي حُجرتُها غضّةً،
والجُدْرُ، والأستارُ، والمَقعدُ؛

أشياءُ للقبلة فيها فمٌ
حُلْوٌ، وللّهْوِ بشَعرٍ يَدُ.

أسألُها عنها، فيحتلّني
من الزوايا طيبُها الأجعدُ.

وربّ أشياءَ، على بُكْمِها،
أكرَمُ بَوْحاً من فمٍ يُسعِدُ.

أُغْنَار

ـ « بلى، قلتِ، أنا الشِعْرُ،
وأبهى أنا من شِعرِكْ ».

ـ صدقتِ: الشِعرُ، يا أغنارُ،
بعضٌ من غِوى خصرِكْ.

ولحنٌ قدُّكِ الميّادُ
عَزْفُ الضارِبِ المُشْرِكْ.

وأنّى ليَ أن اقطِفَ
من صُبحَينِ في صدرِكْ ؟

أنوفَينِ ، كما النارُ،
اشرأبّا في مدى أمرِكْ ؟

فَراشاتٌ، فراشاتٌ
وَهَتْ صرعى على نَحرِكْ !

*

أُغنّي أنا ؟ ما بَثّيَ
من مجدولتَيْ شَعرِكْ ؟

إذا اقبلتِ ماد الصحوُ
للإسرار في جَهْرِكْ؛

ونجمُ الصبح لم يلبَثْ
أنِ انكبّ على مَرّكْ.

ولكنّي أنا الباريكِ
لألأءً على عصرِكْ.

أمَنّيه بما بعدُ،
وأُومي علّهُ يُدرِكْ.

فيَغْوَى بالجمال الكونُ،
أو يرقصُ من ذكرِكْ.

*

أنا الخمرةُ في كأسِكِ
والسكرةُ في خمرِك.

أنا الفَوْحُ، أنا البَوْحُ.
أنا السهوةُ في فكرِكْ.

أنا القبلةُ، يا أغنارُ،
تفتَرّ على ثغرِكْ.

بأجفانِكِ ضمّيني
وعُليّ العُمرَ من سِحرِكْ.

فعُمري سفرةٌ من بدءِ
عينيكِ إلى سِرّكْ.

تَضحَكُ لي!

تَضحَكُ لي، تضحكُ ! فامضي، يَدي،
ولَمْلِمي الشمسَ عن المَقعدِ،

عن مِزهريّاتِ الزوايا، عن الخصْرِ،
وعن عُنْقٍ لها أغيَدِ.

*

للأبيضِ الآنَ سنىً آخَرٌ،
في الحُجرةِ الضِلّيلةِ الموعِدِ،

كأنّما الأشياءُ في قَهقرى
إلى ثوانٍ من صِباً أو دَدِ.

*

زنابقٌ في ضِحكةٍ، فالتَقِطْ،
يا جَفنُ، من ضحكتها وازدَدِ.

أو رَجْعُ عُصفورٍ لعصفورةٍ
قالت له: « طِرْ، طِرْ بنا، وابعُدِ.

غصونُنا غيرُ غصونٍ ، فإن
يَهمُدْ بهاءُ العُمْر، لا تهمُدِ ».

*

تَلقَّني، يا يدُ، كيف الهوى،
وكيف سجْنُ النَغَمِ المُفَرِدِ.

في ضِحكةٍ باحت بحبٍّ لها،
لا، يا يدي، لا تقطِفي واسعَدي !

سَمْرَاء

سمراءُ يا حُلمَ الطُفولَهْ،
وتَمنّعَ الشفَةِ البَخيلَهْ،

لا تقرُبي مِنّي، وظَلّي
فكرةً، لِغدي، جميلَهْ.

*

قلبي مليءٌ بالفراغِ
الحُلْوِ، فاجتنبي دخولَهْ.

أخشى عليه يَغَصّ
بالقُبَل المطيّبَةِ البَليلَهْ،

ويغيبُ في الآفاقِ،
عبرَ الهُدبْ من عين كحيلَهْ !...

*

ما آخِذٌ منكِ البهاءُ
ومن غدائِرِك الجديلَهْ ؟

ضوءاً ؟ فديتُ الضوءَ يولَدَ
طَيّ لفتتِكِ العليلَهْ؛

ويقول للبسَمات ثغرُكِ:
« لَوّني زَهْرَ الخميلَهْ »؛

فالأرضُ بعدكِ يَقظةٌ
من هجعةِ الحُلمِ الثقيلَهْ،

طَرِبتْ، كأنّ سَنى ابتسامِكِ
كُوّةُ الأملِ الضَئيلَةْ.

*

سمراء، ظَلّي لذّةً
بين اللذائِذ مُستحيلَةْ؛

ظَلّي على شفتيَّ شوقَهما،
وفي جَفني ذهولَهْ؛

ظَلّي الغدَ المنشودَ
يسبقُنا المماتُ إليهِ غِيْلَهْ.

سمراء الثانية

أغمِضْ على مَطلعِها الأسمَرِ
جفَني، وخبّئْ نَكهةَ المُسْكِرِ؛

فَلذّتي من عالَمٍ لم يكُنْ
بعدُ، ولم يوحَ إلى مُضمَرِ.

في عُمْقِ عينيها افتراضٌ له
رَحْبٌ، ووعدٌ بالعطاء السَرِي.

ونحن فيه أَبَدٌ غامِضٌ
منطلِقٌ في أَبَدٍ مُقْمِرٍ،

أو نغمةٌ لم يغوِها عازفٌ،
تائهةٌ في غفلة الأعصُرِ.

أقول: « يا سمراءُ، غيبي على
رنينِ هذا الفَلَكِ المُوغِرِ؛

غيبي معي، لا آنُ لَذّاتِنا
يطالُنا، ولا غَدُ السُمَّرِ؛

نحنُ إلها سَفَرٍ عابرٍ
فوقَ السُهى، فوقَ الفناء الذري.

للنجم أن يقطُفَنا لَذّةً
مرجُوّةً إلى مدى الأدهُرِ ».

*

لأنتِ أُفْقُ المنتهى، هَفْوَةٌ
من جنّةٍ مرصودةِ العنبرِ؛

كنتِ! فكانَ الحُسْنُ في صُدفةٍ؛
وكنتُ في بالِكِ، إن تَذكُري.

الصدى البعيد

أَحَبُّ على مسمَعي
صَدىً مات في اضلُعي،

هَفا من سحيق المَدى
رِضىً، أبيضَ البُرقُعِ ؛

وأطلعَ أوّلَ حبّ،
وراح، ولم يرْجِعِ.

*

ألاَ هَبّةٌ من شذاهُ
تُرَنّحُ حزني معي،

تُهَزْهِزُ ليلي حناناً
وتُخْصِبُ من بَلقعي.

فنحن أولي الحبّ لحنٌ
طَروبٌ، وإن ندمَعِ.

*

أفيءُ إلى بعضِ حُلْمٍ
طريفِ السنى، اروَعِ،

يُطالعني منه ضوءٌ،
وفجريَ لم يطلعِ؛

وتجري الليالي معي
كسالى دَدٍ طيّعِ؛

فمِلءُ يديّ هناءٌ
وملءُ المدى مطمعي.

*

تُرفرِفُ، يا طيفَها،
على مُقفِرِ الأربُعِ،

أنا اليومَ روضٌ غريبٌ
عليكَ، وإن أدّعِ.

ولولا بقايا حنينٍ
تُهوّمُ في أضلُعي،

تلاشيتَ من خاطري
مع الأملِ المُقلعِ.

*

انا مِلءُ صدري، ومِلئي
مَرَدّ هوىً موجَع،

حنانكَ دَعْني، وإلاّ
جرحتُكَ بالأدمُعِ !

النغم المحال

وَردَة الوُرود

تعالَيْ، تعالَيْ مع الهَيْنَماتْ،
وزيدي الزهورَ شذاً وهِباتْ.

وحُطّي على شفتَيْ حُلوةٍ،
وحيناً على دمعتيها الفُراتْ.

فإن يَرتَشِفْ ثغرَها عاشقٌ،
غداً، يَستشفّكِ في القُبُلاتْ.

*

تعالَيْ، مرورُك عبرَ الرياضِ
يرنّحُ في أيْكِها الزقزقاتْ.

وأنتِ، أيا أنا، فَوْحُ العبيرِ،
وومضُ الخيالِ، ورَفُّ السُباتْ.

على الصبح، أنتِ تَثَنّي الضياءِ،
وفي الليل، وشوشةُ النيّراتْ.

*

ندائي لحسنكِ يَفرشُ ورداً،
ويوقظُ في الطُرُق الأغنياتْ،

كأنكِ روحُ الربيعِ يناديه،
في الدَوِّ، ماءُ الجُذوع المَواتْ.

وإمّا بلغتِ التفاتَ السِوى،
فلا تسكني غيرَ ماض وآتْ :

دعيكِ إلى الدهر حُسناً يُرَجّى
ويُذكَرُ، لا يدّعيه التفاتْ.

يقظة الزهر

ليلة تجتازين بستاننا

ليلةَ تجتازينَ بستانَنا
خَطْفاً إلى ذيّالِكَ الموعِدِ،

يَبْقى على رَيحانِهِ، للضُحى،
أشياءُ في الريحان لم تُعهَدِ :

شُقرةُ شَعرٍ، وغِوى عُقدةٍ،
ولَمّ تَفْتا جُرِّرَتْ باليدِ،

ونقلةٌ فتّانةٌ كلّما
مسّت ثرًى، غنّى الجمَادُ الندي.

*

باللهِ، لا عُدتِ، إليها، ولا
اتّهمتِني، إن نمّ زَهرُ الغدِ...

سمراء دمشق

رُدّ لي من صَبْوتي، يا بَرَدى،
ذِكرياتٍ زُرنَ في لَيّا قَوامْ؛

ليلةَ ارتاحَ لنا الحَوْرُ، فلا
غُصُنٌ إلّا شَجٍ أو مُستَهامْ،

وتهاوى الضوءُ، إلّا نجمةً
سَهِرتْ تُطْفي أُواماً بأوام.

سألتْني من دلاَلٍ قُبلةً
يُعصَرُ الدهرُ بها كأسَ غَرامْ،

وارتمت، يكسِر من هُدبٍ لها،
مُسهَبِ الطول، حياءٌ واحتشامْ؛

وَجعَت صَفصافةٌ من حسنِها،
وعرى أغصَانَها الخُضْرَ سَقَامْ؛

فحَسرتُ الشَعرَ عن جَبْهتَها
أسألُ الحسنَ : أفي الأرض أقامْ؟

وتأَنيتُ أُملّي خاطرِي،
قبل أن يحجبَها ضمٌّ الهُيامْ،

أو لخوفٍ بي على ثانيةٍ
سوف تمضي! فمُنى العُمْرِ حُطامْ!

*

لم تَدَعْ لي شقوةً أحيا بها،
ورَنتْ يملأ عينيها ابتسامْ.

أومأتْ لي، فامّحى كلُّ سنًى
مُرهِقٍ، غيرَ فمٍ عذْبِ المَلامْ.

واذا قُبلَتُنا فَرٌّ الى
عالَمٍ أبهى، وسُكنى في منامْ؛

تَقِفُ النجمةُ عن دورتها،
عند ثَغْرَين، وينهار الظلامْ.

نجوى الليل

ليلُ، يا ليلَ الخَيالْ،
يا حبيباً طيَّ شالْ،
ضاحكَتْكَ الرابيَهْ،
ودَعتك الثانِيَهْ،
دعوةَ الزندِ إلى ضَمِّ الجمالْ.
أتُرى أنتَ وَتَرْ
مُقلِقٌ بالَ الحجرْ،
أم غلوٌّ أنتَ في كرِّ اليَمامْ،

أم سريرٌ شدّهُ خيطُ القمرْ؟
طِرْ بِنا، يا ليلُ، طِرْ، أنت الغَرامْ.

*

ليلُ، يا أسودَ ما شاء البَهاءْ،
لم يكُنْ، لولاكَ، للسهل ارتماءْ،
لا ولا طاب لقلبَيْنِ اللِقاءْ.
ما سِواكَ المشتهى،
أنتَ أنت المنتهى،
يا ضياءً فُتَّ مِسكاً في الضياءْ.
جُنَّ، وامرحْ في الربى،
كالسنى النَضْرِ الصِبا،
كنشيدِ الخصرِ في لَيّا القَوامْ.
واذا جَفنٌ إلى جفنٍ صَبا
طِرْ بنا، يا ليلُ، طر، أنتَ الغَرامُ.

*

إنسَدِلْ واسألْ ليالانا الحِسانْ :
« عن يَدَيْ مَن هِيلَ كالوردِ الزمانْ؟ »
وحدَنا آنٌ، وهذا الكونُ آنْ.

ما الهوى من بعدنا؟
ما التلاقي؟ ما المُنى؟
ما المواعيدُ بظلّ البَيْلسانْ؟
يا هُنا ليس هُنا،
يا دُنى خلفَ الدُنى،
أنتَ هَمّ الفُلّ، أسقامُ الخَزامْ.
واذا ما نهتِفُ : « الليلُ لنا! »
طِرْ بنا، يا ليلُ، طِر، أنتَ الغَرامْ.

*

جَرُّ اردانِكَ في الدرب شَذِيّْ،
طَيّعُ الثِنْيَةِ، معتلٌّ، غَوِيّْ.
وسنى لونِك مُخْلَوْلٍ، نَقِيّْ؛
ترتمي فوق الفَنَنْ،
تتلهّى بالزمن،
تُولِعُ الأنجُمَ في البال الخَلِيّْ.
مِنّةً، لا تنفَدِ
وابقَ، يا حُلْمَ الغَدِ،
يا هوى الضمّةِ في وَهْمِ النِيامْ.

أوشَكَ الصبحُ علينا يعتدي،
طِرْ بنا، يا ليلُ، طر، أنت الغَرامْ.

*

نحن قيثارٌ غفا بين يَدَيْكْ،
هُزَّهُ يَنْعَطِفِ الأفْقُ عليكْ،
أو فَمُرْ يَنهضْ بنا الكونُ اليكْ!
آنَ لا يقلقُ شَيٌّ ،
لا صَدًى، لا وقعُ فَيّْ،
انما الليلُ هَزارٌ خلفَ أيْكْ!
أجنُحٌ ليست تُرى،
وافتتانٌ بالذُرى،
وغناءٌ رَنّ من عند الغمامْ!
آهِ، لا تُعْطِ السِوى ان يَسكرا،
طِرْ بنا، يا ليلُ، طر، نحن الغَرامْ.

نار

مِن الياسمينِ، مِن الزنبَقِ،
فرشتُ السريرَ، ومن مِرفَقي،

فلا تَدَعي الليلَ يُفلتُ منّا؛
تُرى، هل نعيشُ الى المَشرِقِ؟

*

انا العمرُ عنديَ ثغرٌ صَدٍ،
ونهدٌ من المرمر المؤنقِ؛

وعينانِ أوسعُ من عالَمٍ
تقولانِ : « أيّهما تنتقي؟ »

قَوامُكِ يدعو، ودَلدالُ ثوبكِ
يَهدِمُ من عزّتي ما بَقي.

وَجِعتُ أنا، وَجَعي عند خصرِكِ
أو منتهى شالِكِ الأزرقِ.

✻

سألتُكِ، فرّي من الثوب، واعْرَيْ،
فشفّافُه، في الدُجى، مُرهِقي!

وطيّاتُه، والغِوى، والفضولُ
هَواتِف : « يا من يرى مزّقِ. »

✻

أقِلّي المِطال، انزَعيه، وارخي
الذراعَ، وفي الياسمينِ اغرقي.

لَوَقعُكِ فوقَ السرير مَهيبٌ
كوقع الهُنيهَةِ في المُطْلَقِ،

كشلاّلِ وردٍ هَوى من عَلٍ،
فلا نجمَ في الأفقِ لم يشهَقِ.

*

فديتُك، طيري إلى المستحيلِ
ومُرّي بخاطرِه المغلَقِ،

وإن همدتْ نبضةٌ، تحت نَهدِك،
تعْبى من المُشتهى المُحرِقِ،

وكان لضمّ المُنى ساعداكِ
استجابا، وللعُمُرِ الريّقِ،

ولم يبقَ منك سوى أنّةٍ
تُغَالِبُ في النظر المُطرِقِ،

وجسمٍ — على رغمِ عَصْفي بهِ —
مضيءٍ كقِطْعَةِ شمسٍ، نَقِيّ،

وعُدتُ امنّيكِ بي، بالهوى،
فيا واحتي، لا تقولي: « اشفقِ »،

بل استقبلي من جديدٍ هواي
وكالضوء فوق السرير اقلقي.

*

لأنكِ في الليل، فالليلُ نارٌ،
ونارٌ يداكِ على مَفرقِي!

غابة اللّوز

غابَة اللَوز، أيا مهدَ الصِبا،
عُدتُ، يا غابَةْ:
هاجِرٌ عاد رَبابَهْ،
يُوقِظُ اللحنَ طَروباً طيّبا.

*

بِمَنِ الترحابُ، يا غابةُ ؟ بي ؟
أم بما كانا ؟

*

زار نَيسانُ رُبانا،
يومَ أنتِ الوَهْجُ عند المغربِ.

*

أيُّ صبٍّ ما بكى يومَ السفَرْ ؟
ونأى عنكِ،
طاوياً في الصدر منكِ
زهرةً قَطْفَ التي تَحكي القمْر ؟

*

آه، هُلّي في الضحى أو في المساءْ،
جَنّةَ الأبيضْ،
كان لي جَفنٌ، فأغمَضْ،
منذُ ما غِبْتِ وغَيّبتِ الهناءْ.

*

وإذا عَصَفَ الشتاءاتِ الهَتونْ
جُنّ من عَزْمٍ،
يَقصِفُ الغُصْنَ ويُدمي،
غابةَ اللوزِ، اسكُني ضوءَ العُيونْ!

فهرست الكتاب

غـدُ النُخبَة

الطبعـــة الاولى ١٩٥٤
الطبعـــة الثانيـــة مصححة ١٩٩١

الى فيثاغورس، أحدِ عِلْية العقول في كل الأزمنة، يُنسب القول : « سأخاطب الحكيم فأبعدوا الجُهَّال ». إذنْ منذ عهد باعدٍ في القدم، شعر سراةُ الفكر بان العامّة خَطرٌ على اصحاب التعاليم الرفيعة.

بيد ان تطوراً هاماً حصل. فبتنا اليوم وخطرُ الجُهّال على القيم الكبيرة نستغلّه لخير تلك القيم، نشحذها عليه، نزيدها مضاء. وهكذا لم يتحفّظ أينشتين في رَكْزِ كونه على نواميس تناقِض الحِسّ العام. ذلك لا لأنَّ العامة — في أوروبا — ارتقت كثيراً عما كانت عليه عهد الاضطهادات،

بل لأنَّ النخبة تكوَّنت. تكونت فراحت تُشكِّل حول صاحب الرأي الجديد ــ مُحِقّاً كان أم مخطئاً ــ دِرعاً يقيهِ ثورةَ الخصوم: ثورتَهم على شخصه فلا يُمَسّ ــ وما ذلك بشيء هام ــ وثورتَهم على افكاره، فلا تُخنق في فمه ــ وهو هو الأمر الأساسيّ ــ بل تُوكَلُ الى المِحَكّ المختص وحدَهُ، يُتوِّجها او ينتقي منها ما صلح أو يدحضُها جميعاً، مُمَهِّداً لعمل النسيان يأتي عليها.

لا لم يبق أحدٌ في عصرنا يخشى نقمةَ العامة.

بشرط واحد:

ان تكون الخاصة موجودة.

* * *

أين نحن، في الشرق، من تَكَوُّن النخبة ؟

قد يتبادر الى الذهن، رداً على هذا السؤال، أنَّ في الشرق جامعاتٍ ومؤسساتِ تَمَدُّن، إذن طائفةً من الاساتذة وذوي الاختصاص، مِمَّا يروح، بالنتيجة، يضمن وجودَ النخبة.

رأيِّي، أشدُّ خطراً على حَلِّ مصاعب الشرق من عَدَم وجود النخبة. لانه يجعلنا نكفُّ عن لَمِّ شتاتها أو إطلاعها من عدم.

ليست النخبة افراداً أفذاذاً بما هم افرادٌ أفذاذ، ولا طَبقَةَ مُثقَّفين بما هم طبقةُ مثقَّفين. انها جِسمٌ حيّ، ذو معرفة وخُلُق في مستوى المصائر الكبيرة، واعٍ ذاته ودورَهُ في العالم.

كجسم، تتحرك النخبة وِفقَ نواميس تموت إن هي تركتها تَهزُل أو تتضعضع. وكجسم حَيّ، ما هي كالآلة تستقبل الوجود وانما كالانسان تقصِد الوجود. وكذات معرفة وخُلُق في مستوى المصائر الكبيرة، لا تجهل شيئاً بلغه العقلُ في أيّةِ بقعة من بقاع الأرض، ولا تفتقر الى شِيمَةٍ تحُلّي بها في أيّة رقعة من رقاع التمدن، من تلك التي تُدَرّع الناسَ في وجه الشرّ وإغراءات الشرّ. وكواعيةٍ ذاتَها ودورَها في العالم، لا تتصرف تِلقائِياً او اندفاعاً في تيّار، وانما صدوراً عن إرادة وعن ادراك بأنها هي المسؤولة، في النهاية، عن مستقبل الانسان في الارض وربما في ما وراء الأرض.

قد يكون موجوداً في الشرق افراد مُتَحَلّون بهذه الصفات. ولكنَّ عدَم انتمائِهم، بمثل التَجَنُّد، الى جسم النخبة والى ما تنتدب نفسها اليه، يَمنعُهم من امتلاك صِفتها، فَيُبقيهِم أضعفَ جوهراً وأَقَلَّ فعالية.

هل يَعني هذا ان النخبة حِزب ؟

كَلَّا وحاشا أن تكون النخبةُ حِزبا.

الحزب، تحديداً، عَملٌ سياسي. اذن يتطلَّب الحُكم. والنخبة اكبرُ من تَطلُّب الحُكم وأكبر من الحكم. تَسلُّم زمام الحُكم يظل مشوباً، ولو قليلاً، بشهوة السُلطة، والنخبة فوق الشهوة وفوق السلطة. الحكم دولابٌ من دواليب تُشرف عليها النخبة، والنخبة المُلتفَتُ الذي اليه تتحرك الدواليب. الحكمُ أُسلوبٌ لتعهُّد الأمَّة او العالَم، في صعودِهِ جهة مصير عظيم، والنخبة هي هذا المصير العظيم.

هذا لا يعني أَننا، شخصياً، من أعداء الأَحزاب، ولكننا نضع الامور في نصابها. ويقيننا ان اصطراع الاحزاب هو، في بعض المراحل، خير طريقةٍ لشفاء قوى الشعب المصابة، ريثما تضجُّ فيها العافية.

الفرق كبير بين الحزب والنخبة.

قد يحارب الحزب، بلا هوادة، حزباً آخر، ليقوى ساعداً وينتصر ويتسلَّم الحُكم؛ وقد تشجع النخبة كل الاحزاب. الحزب ينفي سواه؛ النخبة تُلهم سواها.

علينا ــ والحالةُ هذه ــ أن نرحم حزباً قوّادُه لم يتخلّوا عمّا في نفوسهم من مناقب النخبة ، استنكفوا عن الطَعن على خصمهم، اكتفوا بمهاجمة الشرّ فيه، وعفّوا عن شخصه. والجماهير ــ زبائنُ الأحزاب الوُحَداء ــ لا تدكُّ لك الا خصماً رحتَ تجسّم فيه الشرّ. فإن كنتَ عادلاً واعترفتَ بناحية خير في خصمك، ومن أجلها ترفّعتَ عن مهاجمة شخصه، بقي الخصم في الساحة وانت ما تسلّمتَ الحكم. وهكذا تكون كحزب خنتَ طريقةَ الوصول، ولكنك كنخبة وفَيتَ بالعدل. وكراسم خطط عليه، أحياناً، أن يعمَلَ من اجل البلوغ، سقطْتَ ضحيةَ ما بك من تَعقُّل نُخبة لزام عليها ان تُنصِف.

ولقد أدرك الشاعر ــ وغالباً ما يستبق حَدْسُ الشعراء تطلعاتِ الفلاسفة ــ حِدّةَ الصراع بين المغامرة في التنفيذ والتروّي في معرفة الحق، فقال :

ولا بُدَّ لي من جَهلةٍ لِوصالها،
فَهل مِن صديقٍ أُودِعُ العقلَ عندَهُ ؟

* * *

والمجتمَع ؟

إنَّ المجتمع، كمجتمع، واحدٌ تقريباً. واحدٌ في العالم كلِّه. إن في انكلترا لصوصاً، كما في لبنان، وكذلك منافقين ومتاجرين بالافيون. اما ما يجعل المجتمعات تتباين، بعضٌ الى أوج وبعض الى حضيض، فهو ما يقوم فيها من نخبة، حولها تَستقطَب القوى أو تتراخى. فلا يُعَدُّ المجتمع اللبنانيُّ متأخراً لمجرّد ما ان يقوم فيه متاجرون بالحشيش، يساهمون في تدمير مصر، بل يُعَدُّ متأخِّراً ان كان لا يطلع نخبةً نافذة الكلمة، تَغضب مستهولةً عمل الاثيم وتَمنع حصولَه. ويُعَدُّ متأخراً أكثر إن بقي تُجَّار الحشيش، من آن الى آن، يُصدّرون الى الحكم نماذجَ منهم.

لا، ليس ضرورياً ان تتسلم النخبة باشخاصها الحكم. وانمّا من المحيي أن يتشرَّفَ الحكمُ بالجلوس الى مائدة النخبة.

فعلى تلك المائدة، وحدها، يُنقذ الحكمُ نفسَه من نفسه، يُنَقّي جَوَّه من صغارة الزبائن، يرتفع الى المناخات العُلى، يَمُدُّ ذاتَه بنُبْل العِلْم وبالفِكَر الكبيرة، ويَعود غير متخوِّف من الاقدام على تحقيق الجَلَل، على صنع التاريخ.

والاقدامُ على تحقيق الجلل وحده يخرس التذمُّر، لأنه يَجتَثُّ اسباب التذمُّر؛ ووحده صُنْعُ التاريخ يهوّس ويَغمُر بالفرح، لانه يرفع الأعين اللصيقة بالتراب الى ملاعب الشمس.

* * *

كيف تتكون النخبة ؟

ككل جسم حي، تماشي النخبة سننَ النشوء. فهي، اوَّل ما تبدو، خلايا قليلة في فراغ المجتمع. أُرخبيلات في خضم. يؤلِّف الخليَّةَ الواحدة اثنان على الاقل من عِلْيَة المثقفين ذوي الخُلُق، لا بما ان واحدهما عالي الثقافة ذو خلق، بل بما انه، على الاخص، أبعد شيء عن الاثَرة والانكفاء على الذات، أَميلُ الى التعارف فالمشاركة في النشاط العام، يزيد بهما نضجه ويمرّس بادرتَه بمواجهة الصعب. اكتشاف الافراد بعضُهم بعضاً، والتلاقحُ الفكريّ والخُلُقي فيما بينهم أساسيان. وتنمو الخلايا وتتكاثر حتى لتقلّ المسافات المباعدة بينها وتنتظمُ في الخليّة الكبرى: النخبة. يتمُّ عمل التلاقي هذا لا بمحض وعي ولا بمحض عفوية. فما هو احتشاد مُحزوزبين ولا تزاور ثرثارين. إنْ هو الا بعضٌ من نزوع الى لقاءٍ خَيّر فيه تكثيفٌ للذات وتطلّعٌ الى

فوق وفَرَحٌ خلاَّق. والخليق بهذا التلاقي يَمُرُّ بمرحلة من وعيٍ ذاته واستجابة نداء داخلي يشده الى السوى، ثم بتماسٍّ مع السوى يكاد لا يَتِمّ حتى يشعر هو بتبدُّلٍ له اشبهَ ما يكون بولادة جديدة. وتكون صداقةٌ أُحلى الى قلبه واسبغ على عَمَلِه من الحبّ العظيم، لأنها تنطوي على غبطَة الحب وتترفع عن غيرته الآكلة وعن أنواء بحره المتقلب.

الشعر لم يغنِّ الصداقة كفافاً.

بهذا اقترف إثما وخسر وتراً ولا أرن.

وإن الصداقةُ الَّا العاطفةُ الأوفر إلهاماً للمنتجين. إنْ أُنْمِيت وُسْعَها بين مختلف افراد النخبة، مدَّتْهم بحيويَّةٍ يروح صداها يرجُّ الى أَمد غير قصير. تشهد جدوى عرى شَدَّت بريكليس الى نخبة من المعماريين والنحاتين، كان من نتيجتها بقاء رقعة من اربعة كيلومترات من الأرض عَاصِمَةَ إلهامٍ الى الأبد. وتشهد طِيبَةٌ أَلَّفت بين قلبي غوته وشلر فكان منْها قَلَمَانِ قلَّما أطلع الأَدَبُ أطرَفَ أو أعمق، وأبقى على الدهر.

وَعْيُ الذات والاستجابة الى النداء الداخلي هما من عمر

النخبة عَهْدُ اليفاع. والصداقة عهدُ الشباب، بما فيه من طموح خَيِّر بارئ. وفي عهد الرجولة، تحتاج النخبة الى مَن يتعهدها باحترام. إبان الشَباب هي في غنىً عن أي مَدَد، تكفي نفسها بنفسها. اندفاعاً حتى الطرب ولذةً حتى الخدر. أمَّا في عهد الرجولة فويل لمؤسسات تجنح عن الحَدْب على النخبة، وويلٌ لحكم ينَفِّرها أو يروِّع. تنطوي النخبة عندئذ على نفسها فلا تلبث ان تيبس حتَّى لتغدو مُتحفَ مومياءات؛ وهذا، وقد انقطع عن التماس بممثلي انتصارات التمدّن وعن التلَفُّت الى الغد الأفيح، يروح يشيخ والدنيا بعدُ شباب، فيتنكَّر له الناس بل يتنكر هو لنفسه، ويضطر، إبقاءً على حياته، إلى وقف عمله على الاهتمام بنفسه. حمار ناعورة هزل فعاد لا ينشل من الماء إلا ما ينقع عطشه.

عَددٌ من حكومات الشرق وصل إلى هذه الحالة. فاذا الدكتاتوريات، على بشاعتها، المنفذ الوحيد.

النخبة وحدها تستطيع أن تؤمِّن لا تبادُلَ الاحترام بين افرادها وحسب، بل تبادله كذلك بينهم وبين كل مؤسسات المجتمع، ومنها الحُكم. وشعور النخبة بحرمتها

هو كُلُّ حيويتها، جُماع عنفوانها، وهو السياج الذي يصون رجل العِلم من إغراء المال يُلوِّح به أربابُ الاعمال، منزلينه من طلاقة البحث العلمي الى محدودية العمل التكنولوجي. ذاك يُقدِّم له لذَّة الكشف للكشف ورضى الله والضمير، وهذا يُغرقه بالثروة والرفاه، صَنَمَي العصر اللذين اقتحما على البيوت صدارتَها وعلى القلوب حرارةَ خفقانها. أَولا يخالج العالِمَ بدايةُ قنوط كلَّما رأى زوجةَ صاحب الحانوت تقتني في دارتها أحدث الرياش وأدوات الرفاه وتودع المصارف ثروة، بينما تخنق زوجُه في صدرها شبه غصَّة ؟ لا، وَوَحْدَهُ شعور النخبة بأنها النخبة وكفى يصون العلمَ من الاستخدام في المصنع، والشِعْرَ من التكسُّب، والفلسفة من كتابة المقالة اليومية، والبحث من التعيش في بيتِ غنّي، والتدريسَ من الالتحاق بالوظيفة، والقضاءَ من الانتساب الى مستشارية الشركات.

وبصدد هالة النخبة يمكن الالماع الى ما ينبغي أن تخصّ به النخبةُ نفسها من ترفيه خليق بها. فالعمل العقلي المرهق يلزمه استجمام موائم، يرجع العقل منه الى مجهود جديد. فان لم تمنح النخبةُ نفسَها هذه النزهة الرحيم، ان لم تكن لها أنديتها المتنفسة بالرفعة، اضطُّر أفرادها الى

انتجاع الراحة في ملاهي الطبقات الأُخر حيث الأثَرَ مزدوج الاساءة: يُبَدِّد جوَّ النبل ويزعزع ثقة العِلية بعِليتها.

ولعل تاج اعمال النخبة، كيما تتوطد ويبلغ عَملُها حد العَراقة، أن تتنادى بين فترة واخرى الى التمرُّس بعملٍ ضخم، يجيء في مستوى القضاء والقدر.

ان انتداباتٍ الى الجلل قامت بها النخبة، في بعض عهود التاريخ، أوجدت صيدون وآثينة وقرطاجة ورومة وفلورنسة وباريس : الاولى فاتحَةَ عالَمٍ ومصدّرة عقلٍ وذوق، حتى لتأخذ الدنيا عن نظامها النوسو ـــ دموقراطي، ويقصدها العظام يُحصِّلون على مُعلميها، وبناتُ الملوك والسَراة يروين فيها غلة الاناقة والجمال؛ والثانيَة حاضرةَ فِكْرٍ وفنّ تلهمهما الناس إلى الأبد، حتى لتتعبَّدُ الدنيا لبضعةٍ من الاصول هي المحارة التي تضطرب داخلها آلة العقل؛ والثالثةَ أكبَرَ ورشةٍ لصناعة البطولة، بدأت بمِلكةٍ أُحرقت نفسَها ثباتاً على فكرة وانتهت بملكة أحرقت نفسها ثباتاً على فكرة، حتى لقد أسَّسَ الانسان بين تينك البادرتين أطول الامبراطوريات عمراً : عَمَر عالَماً شاراً نشاطه الخلّاق على جميع البحار، مُوجداً في الاقتصاد

عدالة لا يزالون حتى اليوم يتشوّفون الى مثلها، تاركاً في الشجاعة سَجِلّاً لسلسلةٍ من المعارك تتلمذ لها قيصر ونابوليون وبقيت، الى أمس، آخر ما قيل في فن ملاعبة الموت؛ والرابعةَ أُعمَقَ مدرسة للعنف مع الذات، حتى لقد مدَّها قهرُها لنفسها بما يلزمها من قوة لقهر الدنيا، فشدّتها بقرنيها في حقبة من عمر الزمن، وربطتها الى عجلتها، وما زال قانونها، الى اليوم، اوثق ما يشد البشر إلى الحق؛ والخامسَةَ أشرَفَ حِلْفٍ عُقد في التاريخ بين رجال مال ورجال فنّ، حتى لقد أُطلع من التحف في التصوير والنحت والعمارة ما يُقدَّر بنصف ثروة الجمال في الأرض، وحتى لتروح أمة بأسرها تعيش على دخلها من حجّ الناس له، على أنّه تاج قارة طَمِعت بأن تكون مِلكة القارات؛ والسادِسَة حَكَمَ ذوق وعقل في الألف السنة التي حولنا، حتى لعلى ما تنطق به يحيا أو يموت نتاج العباقرة، وحتى لتشكّل هي من دون سواها من العواصم وطناً ثانياً لكُلِّ رجلِ فكر.

هذا، والنخبة على الجملة مناخ.

فاذا لم يشعر المجتمع، جميعاً، من لاهوتيِّه إلى الجاهل، من القصر إلى الحانة، بأنْ هناك، في قمة هذا

المجتمع ولكن على مقربة من قلبه، طَبقةٌ تتنفس تنفساً بالشؤون العليا : كثافة الوجود، ترف الوجود، سُموّ الوجود، فقل حينئذٍ ان ذاك المجتمع شَبَحٌ أو دُوَلٌ شرطية تُحكَمَ بالسوط، رقعةُ أرض من فقر وبداوة في لباس حضر معرّضةٌ بين يوم وآخر الى الوقوع في أيدي شرذمة من الطُّمّاع أو تُجّار النفوذ أو ما هو أوجع : مستعمرين ارتدوا بزة جديدة.

* * *

بعد هذه المحاولات المتقضبة في فقه النخبة وسنن تكونها، نورد طائفةً من معضلات الشرق المعاصر التي ستتحدى نخبة الغد :

أولا : معضلة تكون النخبة.

انها باب الأبواب. أول ما يتوجب عليها عمله.هو من النخبة كالمنهج من الفلسفة. فان لم يتوصل أفرادٌ غير عاديين الى الانتظام في شبه حركة تتعهد الشؤون العليا، فعبثاً نتكلم عن نخبة وعن معضلات عظمى ستتصدّى لها النخبة.

ثانياً : معضلة اعادة الثقة بالعقل البشري.

إن الشرق المعاصر هو، من جهة، غير جاهل، ومن

جهة أُخرى، غير كافٍ علمُه. وهذا القدْر من النور بين يديه يوقفه، كل يوم، على تناقض ظاهري في عمل نظْم الفِكر بالمجتمع وتدبُّر مستقبل الأرض، فيخلص إلى ان البشرية، بعد الستة آلاف سنة من إعمال العقل، لم تتوصل إلى حل مشاكلها. وإنما راحت تُعَقِّدها زيادة، كل ربع قرن، بمجزرة عالمية. ومن هنا أزمة العقل مع نفسه : شَكُّه بالعقل وبقدرة العقل على تَعَهُّد المصير البشري. أزمةٌ، ان استمرَّت في الضمير الحديث، اعاقت دخول التمدن إلى الشرق. لأننا ما لم نَسْتَعِد الثقة بالعقل، آلة الحقيقة وتقبُّل الوحي، فسنظل مضربين عن استعمالها على الوجه الأكمل، مكتفين من مواجهة مصاعبنا باللجوء إلى « روشتات » من الخبرة البراغماتية تفضي بالفرد حتماً الى تطبيق شريعة الشُكّاك : « إن لم تكن ذئباً .. »

ثالثاً : معضلة استعادة الكرامة البشرية.

إن قلَّة التعمق بالفكر، عند طبقة المثقفين العاديين، أوقفتهم من المعرفة عند استنتاجات قشورية من علم الانتربولوجية. فراحوا يرددون ان الانسان حيوان أو ضريب حيوان. والهالة التي حوله إنما اصطنعتها المعتقدات وان أيِّ فرد هو كأيِّ فرد. وهكذا باتوا في موقف من يحذف

كلّ ما بناه الانسان، في الستة آلاف سنة الاخيرة، في باب تحقيق ذاته. موقفٌ بسببه قد يلتقون على صعيد واحد ورجلَ العصابة الذي يقيس الانسان بقدرته على تشغيل المسدّس. ومن هنا موجة اللامبالاة التي تغمر بعض مجتمعاتنا، من الاساس الى القمة، فتجعله يَقْتُل في عدم تحرُّج، يدهس معنويات باتّهام جزاف، يُحطِّم مستقبلاً بحكم يصدره بخفة، يُرغم نابغةً على الاستقالة لِمجرد احتياجه الى منصبه، يُدمّر شهرة لِلذة إعمال الحسد الكامن فيه. أَعراضٌ كلُّها لمرض تقلص كرامة الانسان في المجتمع الشرقي، أياً كانت الدرجات : من الحاكم الى القاضي إلى المتشرد.

رابعاً : معضلة التوفيق بين ضرورة الاكل من خبز الهيكل وواجب الحفاظ على خبز الهيكل.

معضلة ترقى في الشرق الى عهد داود. خلاصتها أَنَّ الحاكِمَ أو أيَّ متسلم عملٍ مفروضٌ فيه. من جهة، ان يعيش من مال المَنْصِب، ومن جهة اخرى، ان يتعهد الانفاق على التزامات ذلك المنصب باشدّ وَفْر ممكن. فكيف لا يقع في تجربة من اتخاذ القرارات التي توائم — عن بعد أو قرب — مَصالِحَهُ الخاصة ؟ نصفُ الشلل في الآلة الحاكمة عندنا ناجِمٌ عن هذه المعضلة. فبأَيّ دُربة

عبقرية ستتوصل النخبة غداً الى تربية طبقة من الحكام ورجال المناصب والاعمال، تمدُّ بهم الدولةَ ومختلف مؤسسات المجتمع، ويكونون بشراً فوق البشر، حتى إذا اصطدمت الخدمةُ والجيب آثروا مجدَ الخدمة على ورَم الجيب ؟

ولهذه المعضلة أثرها المباشر في جدوى حربنا مع العدو. فإلى اي حَدٍّ سيكون ساستنا في مثل هذه الحرب مُدَرّعين ضد المال ؟ أمن المستبعد ان يُنزل عدوُّنا الى الساحة جيشاً من الدولارات ؟ لَكَم ينبغي أن يكون داودُنا مَتينَ الخُلُق، لكي يفضّل الجوع، يومئذ، على أكل خبز الهيكل الآتي ؟

خامساً : معضلة النزاع بين الله وقيصر

معضلة ذرَّ قرنُها في لبنان منذ تقدمت نقابة المحامين بمشروع قانون لشؤون يعتبرها رجال الدين من ضمن سلطتهم، ويعدّها التشريع الحديث جزءاً من شموله. اية روح عبقرية يجب أن تُلهم النخبة غداً لتُطلع بين ممثلي الله من مثل بولس جديد يعرف « ان الحرف يقتل » ومُمثّلي قيصر من يقترح قانوناً مطلق الجرأة ــ لا مُتَمَلْمِلَهَا

وحسب ـــ حتى تكون هذه الجرأة على الجميع هي هي وسيلة الصمود والاقناع والظفر ؟

سادساً : معضلة التوفيق بين المواطنيتين الهادرتين في ضمير الانسان الحديث : مواطنية الأمة ومواطنية العالم.

إذن لا تبقى الاولى أَثَرَةً وتطلُّبَ عيشٍ عن طريق غزو الغير، وبالتالي اعتبار البغضاء اساس بقاء، ولا تستمرّ الثانية تهرباً من التزامات الانسان نحو الأقربين وذوبانا في كلاميَّة تُدمِّر الثقة بما يرتسم على الافق من وَحدة عالم.

ولهذا النضال شكلٌ آخر حاد في الضمير الشرقي، عند جماعة المُواطنية الاولى. فهم يَتَّخذون أشبار الارض أساساً لقياس وطنهم، فتطالب فئةٌ منهم بتكبير من هذا النوع واضح وتردُّ فئة أُخرى بتكبير يطغى على تكبيرهم، حتى لتستمر كلتاهما تُضيِّع على الشرق فرصة الجهر عالياً بأن نصف مشاكله ناجم عن كونه اهتم، منذ فجر النهضة السياسية، للضمّ اكثر منه للتكثيف، لتوحيد الاقاليم اكثر منه للتمدين. ففاته الاثنان.

سابعاً : معضلة إحلال العلم محل الحسّ العام

باستثناء القلائل من عُشَراء نظريات اينشتين والمقارناتِ

بين نواميس الكون الصغير والكون الكبير، نجد سواد المثقفين في الشرق ما زالوا يَركزون مِحَكَّ العِلم على الحسّ العام ــ منطقِ العاديين ــ غير مُدركين انّه قد ثبت، عقب انتصارات العلم الحديث، أَنَّ الحِسَّ العام اكبر أعداء العلم، وأن تقدّم المئة السنة الأخيرة لم يتمّ لولا تجرّؤ العباقرة على ذاك الصنم، في دُربة جديدة هي أجمل ما خضَّ حلقاتِ المنهج منذ نيوتن، وأن من القواعد الحديثة أن يشكَّ العالِمُ ــ برُغمٍ من ديكارت، ولعلَّها تتمة لروح ديكارت ــ بكل حقيقة تبدو بديهية أو تنطبق على منطق العامة. لا على انها دائماً خطأ، بل على انها غالباً خطأ. مهمّةٌ بين أدق واجرأ ما ستضطلِع به النخبة، وإلاَّ بقيت الشقةُ وسيعةً في الشرق لا بين الجاهل والعالِم وحسب، بل بين المثقف والعالِم كذلك.

ثامناً : معضلتا الأخذ بلغة الحياة واعتماد تدوين علمي.

إنهما بين اوجع ما سيحزّ في قلب النخبة، اذ محضُ اثارة الموضوع معضلة. بالنظر لما فيه من ملابسات التعاطف مع الوضع الراهن. ومع هذا فلا بد من العمل. وإلا خانت النخبة شرقها العظيم في تغيّبها عن فرض الحلول التي سبقتنا اليها اوروبة.

ان قضيَّتي اللغة والحرف منفصلة إحداهما عن الأُخرى. وكُلٌّ من حليهما يُغضب العاطفيين. فهو كالعملية الجراحية لا يشفي الا اذا أدمى.

معضلة اللغة عرضت وستعرض لكل الشعوب المتمدنة، لأنَّ اللغة، بطبيعتها، تخلق لنفسها هذه المعضلة كل نحو من الف عام. اما مبدأ الحل فقد استُخرج من الحياة : اللغة هي ما في الفم لا ما في الكتاب. ولو ان رقعة العالم الغربي، على سعتها، من اسكوتلاندة إلى صقلّية، مضافاً إليها رومانية، بقيت مسايرة عاطفيَّة الشعب وما تتوهمه من وحدة لغوية تربط بين أجزائه، لما كانت إيطالية وفرنسة وانكلترة والمانية اليوم زعيمات العقل الغربي، ولما أُطلعن عباقرة الشعر والفلسفة.

أما معضلة التدوين فقد عرضت وستعرض لكل اللغات التي لا حروف فيها للحركة. كالشعوب الساميّة جميعاً. وما حَلُّ مصطفى كمال بالحل الناجح، لمجرد انه لاتيني، ولكنه أحد الحلول الموفقة لأن الحرف الذي انتقاه ينطوي، خاصة، على الحروف المحرِّكة. وإن لم يلجأ الشرق إلى أبجدية مماثلة بقيت الانلغبائية آفة جماهيره إلى

الأبد. إذ الطريقة التي ندوّن بها لغتنا مبدأها « تثقف فتقرأ » لا « اقرأ فتثقف ». هذا لكي لا نذكر سوى هذه لحسنات تدوين امثل.

معضلتان على حلّهما في الشرق يتوقف إيجاد اللغة التي هي حُقّ كل المؤسسات. وما بقي الحقُ خَرِباً فعبثاً نفكّر باقتناء العطور.

لا نهضة لنا في الشرق ما لم نحلَّ معضلتي اللغة التدوين.

بين العلم والعاطفة ستنشب حرب. وستكون مستعرة. وما كان منها ليس شيئاً بالنسبة الى ما سيكون. كل ما عندي ان اقف شجاعا في جانب الحقيقة. ليس الشرق عظيما لأنه الشرق، انه عظيم بقدر ما سيكون خادماً الحقيقة.

تاسعاً : معضلة تعهد المعرفة الشعبية.

ان ايجاد التفاهم الدائم بين العامة والخاصة لا يتمّ، بحال من الأحوال، بانزال هذه الى مستوى تلك، بل برفع تلك الى مستوى هذه. ان الدلعة الديمقراطية في العصر عوّدت العامة شيئاً خَطِراً. خَطِراً حتى عليها. هو أن تساير العامة الخاصةُ وتجاري ما تظن العامة انه خيرها. والعامة

لن تعرف خلاصها، الا اذا أُبقيت على اتصال دائم بخلاصة اكتشافات الخاصة. لا ما يطبقه الصناعيون تكنولوجِياً من اكتشافات الخاصة، بل ما تبحثه الخاصة نفسها في دوائرها العليا من نواميس. نعم ليس بامكان العامة أن تفقه النواميس. ولكن بامكانها ان تطلع على روح النواميس. بامكانها ان تدرك اتجاهها، بامكانها أن تعيش في مناخها الرفيع.

ولو عجزت النخبة غداً عن تقليل سعة الهاوية بين الخاصة والعامة، لجاءت النتيجة راعبة : استمر الحُكم في تدهور، لأن الحكم بطبيعته متأثّر بالعامة، ان لم نقل منبثق منها؛ وأُجبر، عندما يستيقظ الى الدرك الذي يكون قد سقط فيه، على التبدل حُكْماً فردياً؛ واصبح الجفاء بين العلماء والشعب طلاقا؛ وتوقف النتاج العلمي، اذ النتاج العلمي منوط لا بفهم العامة له بل بحنوّ العامة عليه؛ واضطرّ رجالُ المعرفة إلى العمل من ضمن شهوة واحدة : شهوة المأكل والملبس والمسكن، كأنما مشكلة المأكل والملبس والمسكن، هي نفسها، تُحَلُّ بمحض معطياتها هي لا من ضمن البحوث العلمية العليا.

عاشراً : معضلة القدرة على الطموح

إن الشرق المُعاصر مزيجٌ من مقوّمات أربع : ماضٍ جَلل، ورقعة أرض معظمها صحراء، وطول عهد بالتغيّب عن التمدّن والتمدين، وانصعاقٍ بغرب بلغ من القوّة، معنىً ومادة، حداً يجعل الفارق كبيراً بينه وبين سواه.

فإذا استثنينا النقطة الأولى وجدنا ان كل شيء في مقوّماتنا يثبّط العزائم.

ولقد عقَّد هذه الحالَة وزاد المصيرَ ادلهماماً أن تخلُّصنا من الاستعمار استند، إلى حَدّ بعيد، على الكزينوفوبية، اكثر منه على وعي ضرورة الحريّة. فإذا ابطال الاستقلالات عندنا ــ باستثناء النادر منهم ــ كارهو غرب لا طالبو حق. وإذا أمكن بعضَ بلداننا ان يتحرر من الاستعمار، لم يعدّها « الأبطال » مرحلة صغيرة من مراحل المُضيّ قُدُماً في أنسنة الإنسان المشرقي، بل زادهم النصرُ الذي تحقَّق ثقةً بقيمة الكُره للغرب ــ كأنما الكره يصلح ان يكون مذهباً سياسياً ــ فتمادوا في تغذيتِهِ، مهوّلين ــ دعماً لرأيهم ــ بخطر عودة الاستعمار بألف شكل غير الشكل المسلَّح.

ولتصرّفهم هذا سببان :

الأول : ان عشق الحرّية عندهم لم يكن نتيجة درجة من الوعي متقدّمة تجعلك تدرك ان الحرّية والوجود البشري واحد.

الثاني ان الكره عاطفة ديمقراطية ــ إذا جاز التعبير ــ يمكن بثّها على أهون سبيل في مجموعة الشعب، وبالتالي تحريكُها ساعة تستدعي ذلك شهوةُ الحكم عند عبّاد الحكم، بينما الحبُّ والبناء عاطفتان صعبتان، لا تنميان إلّا في نفوس النخبة، تلك المتينة الخلق، القادرة على الترفع، العارفة ان لا دخول إلّا « من الباب الضيّق ». والنخبة بطبيعتها قلّة. ولأنها قلّة، ولأنه يستحيل « استزلامها »، يؤثر عبّادُ الحكم عدمَ التعاون معها.

وهكذا أبقى محترفو السياسة على شبح الاستعمار، بعد ذهاب الاستعمار، وسيلةً سهلة تضمن بقاءَهم هم.

واستمر شرقنا، في اجزائه المتحرِّرة، يجترُّ وضعاً كان قد انقضى. وبَدْلَ ان ننتقل إلى مناخ البناء بقينا في روحية الخراب.

هذه الحالة. مضافةً الى ذلك المزيج الفقري الذي يكوّن مقوّمات الشرق الأربع، بَعَثَتْ في سواد الشرقيين ما هو أفتك من الجمود : المحدوديّة.

فالجمود، متى يستيقظ إلى هوله الواعون، يصبح، بين ليلة واخرى، عاملَ ثورة. أمَّا المحدوديَّة فذكاءٌ رخيص يجعلك تَتطلَّب ولكن تَطَلُّبَ المتذمِّر، يريد العيش لا مجد العيش. فيفوته حتى العيش.

لعلَّ أُفتك ما يضعف الشرق اليوم إدّعاءُ جبناء المأمل بأنهم هم الواقعيون، وتعريضُهم بذوي الطموح الضخم.

لَكَم نحن في حاجة إلى من يحلمون الحُلم كبيراً !

آفة الشرق اليوم أنَّه قليل الطموح.

ومن هنا انه يسهِّل مجيء الخاملين الى الحكم. فهم خير من يمثِّل تذمّره ومسكنته وحوائجه الصغيرة. خامِلٌ يحكم خاملا.

لن يوفِّر للشرق حتَّى أقَلَّ متطلباته إلا من سينتدبُ الشرق إلى المتطلبات الكبيرة.

سيكون الشعار : ليتقدّم الصفوفَ من يقدر على الطموح.

يتحدَّى النخبَة غداً معضلةُ تحطيم الاصنام لتحلَّ محلها الآلهة.

حادي عشر : معضلة العودة الى الله والى عدم عدمية الانسان.

مُهِمَّةٌ أشرف ما سيواجه النخبةَ على الاطلاق. ففي جزئها الأول، إعادة النظر في كل ما كتب وبُني ونُحت وصوّر وأُنشد وغُنّي وبُحث وحُلّل واكتُشف وله رُكع وصُلّي وعُبِد على اسم الله. وفي جزئها الثاني، مواجهةٌ جديدة عصرية لأقلق سؤال يطرحه الانسان : أأنا محدود البقاء ام انا باقٍ الى الابد ؟ اصحيح انني، انا الذي أنرت جانباً كبيراً من ظلمات الوجود، بعقلي الكاشف المبدع، أنا الذي أطلعت روائع الشعر والموسيقى والعمارة والرقص والفكر جملةً، أنا الذي «شقعتُ» شقعاً آلة العقل العجيبة حتى لقد باتت تقدّم إليَّ ما لم تكن هي نفسها تحلم به، أنا الذي جَسَسْتُ انظمة الكواكب، رزتُها، دخلت الى قلع الذرّات، صافحت سكّانها، خربتها، أعَدْتُ تكوينها من جديد، انا، انا نفسي،

سيفرغ مني هذا الكون، وهو انما بات نصفه من صنع يَديّ ؟ اصحيح انه بِوَحداتٍ من السنين (ستين، سبعين، مئة وخمسين على الأكثر) يُقاس عُمري، أمّا عُمر سائر الأشياء الميتة الحقيرة فيقاس بالملايين ؟ ما قيمة الأرض، هذا الكوكب الصغير، الذي تستغلّه يدي كُلَّ يوم، ويلعب به عقلي ساعة يشاء ؟ ما عظمتُه نسبةً إلى عظمتي، حتى لَيعيش، هو، إلى شبه أبد، وأزول انا بعد دورات للشمس معدودات ؟

لا لا، وإنَّ سِرّاً خطيراً لا يزال ينتظر أن أُفضحه، ودُرَباً في البحث غير التي استخدمها الآن تنتظر كشفي. انني في التنقيب عن الحقائق اعتمد طُرُقاً إنْ هي — ساعة لا تكون حواسّي الخمس — الا امتداداتٌ لحواسّي الخمس. وما قيمة حواسّ وامتداداتِ حواسّ عجزت حتى عن تشعيري بدوران الارض تحتي، مع ان دوران الارض حقيقة يتداولها الأولاد.

إذن قد يكون بقائي أو عدَمُهُ أهولَ من ان يكشفه شمٌّ ولمس، بركارٌ ومسطرة، تجربةٌ في مُختبر ومعادلةٌ لاينشتين.

وإذا كانت العلوم والفلسفات لم تعِطني عنه براهين من النوع الذي أطلب، فإن هناك استطلاعاتٍ أُخرى في مستوى العجب يجب أن أقوم بها في صدد موضوع المواضيع هذا. ولا بد اني سأخرج، غداً، من ذلك الانجاز، الذي أنتدبُ اليه نفسي، وقد باتت بشريَّتي أكثف : قلبي أبصر بمطارح الظلمات وعقلي أُكثر استيعاباً لِنار الوجود.

إن ما حققتُه على الأرض أعظم، بما لا يحد، مما حقَّقَتْه الأرض، فلا يعقل ان تكون طبيعتها أجودَ من طبيعتي ولا أكثرَ أهليةً ببقاء.

بلى بلى كما أني فقيرٌ إلى حاسَّة أُخرى للتمكن من الشعور بدوران الأرض تحتي، فأنا ولا شك فقيرٌ إلى عقلٍ آخر للتمكن من اليقين بأنني باقٍ إلى الأبد.

وعندئذ ـــ متى أدركتُ اني إلى هذا الحدّ عظيم ـــ أفلا يخطر لي أن أتساءل : هذان الشيئان البيّنا الجبروت «أنا» الباقي إلى الأبد و «اللانهاية» التي تحيط بي، أكيد انهما ليسا صنعَ يدي، أفلا يلزم ان يكون هناك ـــ لِيُبْدع اللانهاية ويبدعني ـــ مَن هو أعظم من اللانهاية وأبقى من البقاء ؟

يا له موضوعَ بحثٍ ينتظر النخبة، يكاد مجرد التصدّي له يدفعها قليلاً جهة الألوهة، لأنه أعظم موضوع، في أعظَمِ اطارِ، وأهلٌ لأن يشغلَ أعظَمَ العقول.

أجمـــلُ منكِ؟ لا

الطبعة الاولى ١٩٦٠
الطبعة الثانية مصححة ومزيد عليها ١٩٩١

أبرقُع اسمَكِ بالأسماء أخترعُ،
وانما منكِ لا منهن بي وجع!

حتّى لقد عدتُ زهرَ الزهر، أجمعُه
آناً وآونةً كالله أبتدع.

بالبال أنْ بَسمةٌ من ثغركِ ارتحلت
صوبَ النجوم، فقلبُ المنتهى ولَع.

دُوّار النجُوم

إغـراء

ـــ قصرُنا عالٍ ، على الغيومْ،
وعلى شُرفته الزَهَرْ

يتدلّى يكتُمُ الأثر
مِن فَواغي قبلةٍ تدوم،

مُرَّ بالقصر وبالذِكَرْ،
غيرَ ناسٍ آهةَ الفِراقْ.

وإذا اشتقتَ الى عناقْ...
إنَّ شُبّاكي على الطريقْ،

أُرشُقِ الحَصى فأستفيقْ...
بدلالٍ أُبعِدُ الأستارْ،

وأنا من قبلِ موعِدِكَ،
يَلتوي خصري على يدك
مثلما لحنٌ على قِيثار !

أجملَ منكِ؟ لا

أجملَ منكِ ؟ لا
لم يعزُفِ الربابْ،

لم تَحلُمِ الحِجارُ في الحِلى،
ولم يَخُطَّ الشِعرُ في كتاب.

أفتَنَ منكِ ؟ لا
لم تحتضِنْ ذِراعْ،

يا حُقَّ عِطْرٍ أرهقَ الفَلا،
يا ضِحكةً أَوجعتِ الشُعاع.

آنَ الفَراشاتُ على ٱهتياجْ،
لا تطرديهنّ بأَفتَنا،

تدرين ؟ فيهِنّ أَنا...
وأنتِ، أواهِ ! السِراج...

أطيبَ منكِ ؟ لا
لم تعتصِرْ دَوالْ،

ما رَنَّةُ الكؤوس ؟ ما الطِلا ؟
يا سَكرةً سَكْبَ يدِ المُحال !

حبّ

أوانَ تغمُرُ التلالَ الشمسْ،
اقولُكِ استرقتِه الشُبّاكْ،

أفقتِ من نومٍ كما مَلاك،
ظننتِني هناك

ورحتِ تُومئين لي بالخمس.. »
لم أدرِ ما جرى،

هو الضُحى الذي درى،
قال: « ٱلعبي،

يا شمسُ، عند الهُدُبِ،
وعندَ ذاك الدِملَجِ المُمانِعْ،

وصدّقي عن حُسنِها وكذّبي
أو ٱقرئي الطوالع...

ثم ٱغرُبي
في عُقَدِ الأصابع.. »

*

أوانَ تغمُر التلالَ الشمسْ،
وتنتشي بِحُلمها الأشياءْ،

أسألُ: « هل نزعتِه الرِداءْ
عن قِطعَتَي ضِياء

عُلُقَتا بين الرؤى واللمس ؟ »
من ذا تُرى عَرَفْ ؟

حَطّم عُلبةَ الطُرَف ؟
قال: آنتَقي

منها، من الحَلْيِ النقيّ،
يا شمسُ، واعرَي والبَسي الجواهرْ،

وان ضللتِ هلِّلي وصفّقي،
مُوتي عليه نافِرْ

ثم آشرُقي
من آخرٍ مُكابر... »

*

يَلَذُّ لي غِبُّ الصباحْ،
وقد تفتّح الأقاح

يَشرَبُ لألَاءَهْ،
يَلَذّ لي تصوّرُ البريقْ

رَهناً بإيماءَهْ،
إيماءةٍ من مَلْكةٍ تستفيق...

*

أوانَ تغمُرُ التلالَ الشمسْ،
ويتلوّى البانُ في دلالْ،

أهتِف: « يا تُرى عليكِ مال
كغَنجاتِ شال،

ضَمَّكِ، لم يدرِ غداً مِن أمسْ ؟ »
ما العِزُّ ؟ ما القُبَبْ ؟

ما روعةُ العاجِ انسكب
مِن أشهُبِ،

مِن نحت حِيرامَ أَبي،
ومن هوىً مرّ ببال خالقْ ؟

قَوامُكِ الطالعُ في المَيْس الأَبي
شَلاَّلُ زهرٍ دافِق

لم يَكذِبِ...
وضِعْ وضِعْ، يا عاشِق...

أجملَ الأجمل

يا أجملَ الأجملْ،
هل مِن جميعْ

بيني وبين الربيع
أم آنّكِ العنقاءُ لا مأمل ؟

يطيب أو يُدمي البُعادْ،
لا تسألي،

لي أنت ما حييتُ لي
ولي الى المَعاد.

*

يا أجملَ الأجمل،
زرتِ الوعودْ،
فراح يحكي الوجود

لِخمرة تُرى ولا تُبذَل.
أنتِ تَنَزُّلُ السُهادْ
على النظَرْ،

أنتِ تنقُّل القمر
في ظُلمة الفؤاد.

*

خلقتُك لم أدرِ كيْف،
فلا ظلٌّ أفلَتُّ، لا سرٌّ طيف
ولا لعبةً من أُصول حريزه،
فما « مونليزه »
وما « حُلْمُ ليلةِ صيف » ؟!

يا أجملَ الأجملْ،
إذْ تنظُرينْ،
أفديكِ، لِم تخنُقين
أُغنيّةً في الناظر الأكحل ؟

ها أنا نُقطتا مِدادْ
بِمِرقمِكْ،
أو بيتُ شِعر في فَمِك
أُنسى وأستعاد !

حقّاً أنا حبّك؟...

ـــ حقّاً أنا حُبُّكَ، يا قمرْ ؟
عفوَك، لا أدري...
عنّي انا كتمتُهُ سِرّي،
هم خبّروني الخبر...

حقّاً أنا حُبُّكَ، يا قمرْ ؟
تغامَزت، أمسِ،
عند مروري، طَرحتا عُرس
حتى خَفضتُ النظر...

حالِمةٌ أنا
انّكَ لي تأبَهْ ؟
تقولُني المُنى ؟
أواه ! ما أجملَها الكِذبَهْ!...

حقّا أنا حُبُّك، يا قمرْ ؟
أُفديكَ دعْ خصري...
دعْ.. أو ترى القُبلة في ثغري
تستبِقُ المُنتظر !

أختها

تبزغُ ـــ سائلْها لماذا ؟ ـــ الشمسْ.
هل رَفعت أغنارُ جفنيها ؟
حَبيتُه اليوم، حببتُ الأمس
شِقَّيْ إزارٍ فوق صُبحيها

تبزغُ ـــ سائلْها لماذا ؟ ـــ الشمسْ.
هل أبِهت أغنار للزنبقْ ؟
قال: « سيبقى كلُّ حُسني همس
إن هيَ مرّت بي ولم أشهَق ».

من أجلها يُحَبُّ لونُ الصّوتْ،
والبوحُ والهوى،
وقبلةٌ في عِطفة اللوى،
وردنُ ثوبٍ مرهِق الغِوى،
معلَّقٌ عمرٌ به وموت !

تبزغُ — سائلْها لماذا ؟ — الشمسْ،
هل أوجسَتْ أغنارُ أن تَدمَعْ ؟
لِجفنها مَدَّتْ يداً في لَمْسْ
فطارت الشَمسُ عن ِ الأصبع !...

زهرة الزهور

ـ كُنْ أنتَ للبِيض وكن للسُمْرْ،
ما همّني ؟ حبي أنا يبقى.

سعيدةٌ به وان أُشقا.
تُحبّني أو لا تحِبّ، أنتَ أنت العمر !

أما كفى أنّي على يَديكْ
أُشتاتُ أُلهِيَه

وبي نيه،
يا حلْوُ، أن أَغرق في عينيك ؟

تُميتُني، تُبقي عليّ
إشفاقةً أو ترضِيَهْ،
ما همّ ؟ أنتَ الضوءُ في عينيّ
وأنتَ في ثغرِيَ أُغنية.

تذكُره بوحَكَ لي ؟ تذكرُها تلكَ العهودْ ؟
فمٌ ولا وْهمُ الزهَرْ،
لونٌ ولا حلمُ القمر،
عَينان غرّبْ، يا وجود !
وكانت اليدانْ
بِمعصميَّ تلعبان،
غدٌ أنا وأمْسْ،
شَعري شعاعُ الشمس،
في ظِلِّهِ مختبئٌ نَيسان...
وكان في قلبِكَ جمْرْ
وخلفَ ثوبي لؤلؤٌ وماسْ،

تقول: « أنتِ خمر
متى أكون كأس؟ »

أواهِ ! كم لي ههُنا
مِن ذكريات، مِن مُنى ؟
لا تنسَني، لا تنسَنا،
لي أنت أم لا ؟ أنا لكْ.
نبقى على كَرِّ العصورْ
أنا الفلك،
أنتَ تدور.
يخونها ولا تخونُ العِطْرَ زهرةُ الزهور.

فم!

بِقلمٍ من قَمَرْ
كالوهم، كالوهلَهْ،
كمشتهى القُبله
خُطَّ الفمُ المبتكَرُ المبتكَرْ...

وغِبّةَ المبدإ،
أطَلَّ لا يَقسو،
تهاوت الشمسُ
عليه، فالضحكةُ من لؤلؤٍ،

لا ليس ما تراهْ
أغنيّةً بلونْ
وانما سكرةُ من يراه
حدودَ هذا الكون ؟...

أُحبّني أُعدَمُ
أصرُخ: « ما الزَهْرُ ؟
وأنتَ، يا عُمْرُ،
هُزَّ اصْفراراً وليفتّحْ فمُ ».

قنطرة الياسمين

تمرّينْ...
تمرّين خَطْفاً ببالي،
فأذكر قنطرةَ الياسَمين
وفي ظلّها نحنُ... والليل حالٍ
بِنا، بقَوامٍ يَهي.. وأنين...

تمرّينْ
كأنّكِ طيفٌ حزين !
ألا أينَ نهدٌ على الريح يَقْلَقْ،
وآخرُ يُنحَت خلف الحريرْ

بِكفيّ، يقول يقول العبير...
ويَشهقْ ؟...

تمرّينْ...
تمرّينَ، هل تذكرينْ
يدي، آنَ أفلَتِّ منّي،
وخصرُك سكرةُ ظنّي،
وكيف ارتميتِ وكانت تغنّي...
وتَغمِزُ.. قنطرةُ الياسمين ؟..

دَرَج

الدرَجُ الحالي بِزيزفونْ،
وفوقَه تُعرِش ياسَمينهْ،
حَبَبْتُه يكوكِبُ السكينه،
لِحلوةٍ تَخطُر في الظنون..

يا درجاً حنا عليّ عَهْدا،
وكاد لي يشهَق من دلالْ،
يقول لي « آرفِق بِكَ او أشُدّا،
عليكَ بالأزهُر والظلال »...

وبعدُ: « يا غبيُّ، طِرْ اليها،
حسناؤُك البيضاءُ في انتظارْ ».
أواهِ ! عُمري قَفْزتا رِجليها
ولو تناسى الدَرجُ الثرثار !

نداء التلهو

ـــ أخبرتُها أخبرتُها النجومْ
أنَّكَ لي،
طوقتَ خصري، بُحتَ لِلكروم
بأنني كأسُك والهموم
أقلعتَ عِبرَ الصحو والغيوم
في هُدبيَ الحلوِ المزلزِلِ.

رَدّدتُ من شِعرك ألف شَيّ
أنّي غِوى النَظرْ،
نبضُ الصبا، بِلَّورةُ السَحَر،

وأنْ على يدَيّ
يَلهو القدَر،
وأنْ إذا اسقطتُ من عَليّ
ثوبا، فما شمسٌ وما قمر ؟...

*

وكِدتُ كدتُ من هوىً أطيرْ،
قطفتُ أُقحوانةً تمُدُّ
عنقا، ورحتُ بيدٍ أعُدّ:
« يُحِبُّني، يحبّني كثيرْ،
يُجَنُّ بي، يصدُقني، يجُدّ،
يكذِب.. لا ؟.. بلى ». وأستجير
بالورق الأخير...
وخوف أن أُصَدْ ،
وأقحوانتي تقولْ
أنّك لا تُحبّني، للعمر، للأبد،
آخذها بيد
وبيدٍ أنثُرها بدَد
ويحي ! وتَطوي سرَّكَ الحقول.

وفي غدٍ ان انا لَمْ
أكن غرامَكَ الوحيدْ،
أضَمّْ،
أضمُّ وحدي، وأشَم
وكان نَيسانٌ جديدْ...
لا لن تَرى الزهرَ
مُجرَّحاً بديد،
قلبي غفَرْ.
قلبي الذي يذكر ألف شيّ..
أنّي غِوى النظَرْ..
نبضُ الصِبا.. بِلّورةُ السَحَرْ..
وأنْ على يدَيّ
يلهو القدَر..
وأنْ إذا أسقطتُ مِن عَليّ
ثوباً، فما شمسٌ وما قمر ؟..

كلام أُغنّ

قَبلَكَ ما كان في الوجود ؟

ـ قبلَكَ ما كان في الوجودْ ؟
هل كان هذا البنفسَجْ
يَسنُد من خَصريَ المَيود،
فأهزَج،
أضرِبُ نجماً بِدِملَج،
أمضي مع الريح لا أعود؟!

*

قَبلَك ما كان في الوجودْ ؟
هل كان ـ لا، لا جُنِنتا ! ـ

حُسني الذي يوجع الورود
وأنتا ؟
ألكون لي، منذُ كنتا،
ألكون لي ريشة وعود.

هذا الضياءْ
ما كان أنقى
حُبّيَ أبقى
من البقاء !

قبلَكَ ما كان في الوجودْ ؟
سألتَني كيف ألعَبْ
بالعمر، بالمجد، بالخلود،
وأُغلب !...
بقيتَ لي أنت، فاشرب،
ما الخمرُ لولاكَ ؟ ما الوعود ؟

بَرِنْدی

لاهية

مَررتِ لم تحني على الرَبابْ..
وَيْلكُ لمَ ؟
في النغمة احتمى
قلبي المُذاب.

*

مَرَرْتِ لم ترَي الى الدموعْ..
رُحماكِ لا...
هُدبُكِ زلزلا،
طَرْفي الوَلوع.

قَوامُكِ التيّاهُ كالرؤيا
حُقُّ عبيرْ،
أحياه آهاتٍ ولا يحيا،
تُرى الهوى في قُمقمِ الدنيا
جِنٌّ أسير !

مررتِ لم تُصغي الى الوجودْ...
لا تفعَلي،
شَكَتْكِ أمسِ لي
كلُّ الورود...

زَهْو

ـــ هواكَ، يا شاعري،
أُغنِيَّةُ الخاطرِ.
أطيبُ، أشهى، ألذُّ
من شَذاً عابرِ...

حببتكَ، المُشفِقا
عَليّ... حتى التُقى...
طَرفُكَ كيفَ التقى
بنهديَ الضامرِ ؟

اغراءة المُنتظَرْ
كنتُ وحُلْمَ الوتر،
وأنتَ ضوءُ القمر
في ليليَ الدائرِ.

شبّبتَ بي ؟ ما السَنى ؟
ما الشمس مما أنا ؟
ورحتَ تُشقي الدُنى
بحسنيَ الطائرِ !

وقلتَ: مِن صابِها
سكرَةُ شُرّابها
وأنّ بي لا بِها،
سُكْرَكَ ؟ يا ساحري !

أُواه ! ما لِلْعِنَبْ
ولي وكأسِ الذهب،
أنتَ الزمانُ انسكب
للكرْمِ والعاصرِ !

وَفـَـاء

ــ الزنزلختُ الوريفْ
وبيتُنا
وخالتاي وأنا
ندعوكَ، يا حِصانَه الطريف.

لسنا كما البَطَلْ
ضِيافةً، ولا كَعُرْفٍ لكَ يشرئبّ،
لكنّنا، أوّاهِ ! لم نزل
على الوفا وأرضُنا تُحِبّ.

إرعَ هُنا... وهٰهنا...
حشائشا يا طالما عنها ثني.
مِن بعده ما هَمَّ أن عَمَّ الضنى
وعاثَ مُهرُه النَفورْ
بزنزلختٍ وتَجنى ؟

من بعده مُتُّ أنا
وَوجِعتْ لا ترفَع العُنْقَ الزهور !

المهنية السكرى

عيناك

هُما، إذا غاب القَمرْ،
عيناكِ، خمرةُ الوجودْ.
أيقظتَا مَرْجَ ورود
كأنما ريشةُ عودْ
هذي وهاتيك وتَر.

هُما، إذا غاب القمر،
عيناكِ، قُبّةُ الزمانْ،
عُمقُهما هَتْفَةُ آن

بأَنْ تشيلي بالمكان،
أَن تُرقصي روحَ الحجر.

عيناكِ، مَن هَدى
اليهما ليلَ الليالْ ؟
أَبْعَدُ ما رَدَّ الصدى،
أَجملُ ما قال الجَمال.

هُما، إذا غاب القمر،
عيناكِ، غضبةُ الغيومْ !
هُمِمْتِ ؟ لا، دعي الهموم،
بِهدبِك احمِلي النجوم،
إليَّ، حَفنتَيْ دُرر.

يا حلو إن غداً رجعت

يا حُلْوُ، إن غداً رجَعْت
تَرمي الى الشُبّاكِ بالزهَرْ،
وما فتحتُ، لا هَرعت
الى صدى الأوّاه، او لا قُلتَني الحجر.

كلاّ وانما أخافْ،
والقمرُ انحدَرْ،
لا أن ترى قميصيَ الشفّاف،
بل أن يرى ـ ويغمِزَ ـ القمر...

مُنتَهى الليل

ـــ يا بَطلي، الليلُ بنا طائِرْ...
علّلتُه بالشمس سِحْرْ
إن ظلَّ في مُترف ما ظَلّ، يغامر...

ـــ بالشمس، لا علّلتِهِ او بيتِ شِعر

ـــ خطُّكَ بيتَ الشِعرِ هل أصعب منه
اللْهوُ بالنجومْ؟

ـــ وقبلةٌ من فَمكِ الطريفِ؟ هذي لا
ثَمنْ...

ـــ وبَعْدُ، ما حَبْسُ الزمن
في سكبة لمّا تزل وغْدَ الكرومْ

ـــ تطير، يا اسودُ ؟ لِمْ تطيرْ
بنا وبالمدى
ونحن مِنّا الزهْرُ والندى،
أَلقصَبُ الصَولج والكوخُ السرير ؟

ـــ وآنَ نَشرَبْ،
بالكون، بات لُعبةً، نلعب،
نهدِمُه، نُعيد مِن بنائِه اليبابْ.
حتّى اذا غنَّتْ بروجٌ وقِبابْ،
تحت أزاميلَ لنا،
تمايلَ الهَنا.
على يدينا وآمّحى السراب !
يا ليلُ، خذ بكأسِنا البِلَّوْرْ،
واشرب فلَمْ يبقَ لِزَهرٍ نَوْرْ
الا اذا شِئنا...
تضيءُ ان ضِئنا...

تدور ؟ حولَ حبِّنا تدور.
ها نحن من هَمٍّ ومن هَنا...
إفرح على خِواننا واتعَبْ
إشرب
بالكأس ؟ لا بل تشرَبُ الكأسُ بنا

*

ـــ وانا ما مَجدي ؟

*

ـــ أنكِ ، مذ أردتِهِ، كنتِ الجمال !...
حتى اذا أنا أزحتُه المُحالْ
وقعتِ من سُكْرٍ على زَنْدي !!

دُلزَی - مرّا

إلتقاء

ـــ كالليل أنا، حُسْنٌ مُبهَمْ،
يُشقى بي ؟ أُشقى ؟ لا أعلم.
نهدايَ ببالٍ أغنيةٌ :
نغَمٌ يُدرى نَغمٌ يوهَم.
صُبحان لِحطِّهما في الفوق
يَؤوهُ ببياضُهما المُلهم.
والفوق اكاد أُخصُّ به،
طُلٌ،عُنُقٌ، وعلٌّ، اعذوذِب، فم!

*

حَجرَا عينيَّ هُما وجَعي،
ويحي! أنا نفسي لم أسلَم...

*

والخَصر، فُديتُ، كَحُقّ شذاً
يتهاوى.. يُهرَقُ.. لا يُحْطَم..
مِن شَقْع الضوء أنا، والورد،
ومن إغراءٍ لا يَرحَم...

*

حولي دنيايَ على بُعُدِ
فاذا هَمَّتْ بِهوىً أُعْدَم.
ما بعدُ ؟ تَطلّعْ فيَّ وضِعْ
أنا شَمْلُ اثنين : غِوًى وشَمَم.
إلاّ أَنْ تأخذَكَ العينان
وتُرمى حيثُ تُهَمُّ تُهَم...
تاجي ينزاح لِمَن هُو لي،
لِسوىً ؟.. يبقى حُلُماً يُحْلم...

فهرست الكتاب

كما لم أغن

يرتدي

الهنيهة السكرى

دلزا ــ مرّا

فهرست المجلد